

المسحاة

مجلة

المجلد الثاني عشر
الجزء الثاني عشر



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

(المجلد الثاني عشر)

٨٨١

(الجزء الثاني عشر)

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال طه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر الثلاثاء، سلخ ذي الحجة ١٣٢٧ - ١١ يناير (كانون الآخر) ١٢٨٥ هـ ١٩١٠ م ﴾

٩٠٠ فتاوى المنار . مدة حمل النساء شرعا وطبا (المنار ج ١٢ م ١٢)

فَتَاوَى الْمَنَارِ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس طامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بهد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً و ربما قد منامتاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولن مضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا ففاله

﴿ مدة حمل النساء شرعا وطبا ﴾

(من ٣٨) من صاحب الامضاء في قفصه (بتونس)

الحمد لله وحده

(مشكلة واقعية)

حضرة العلامة فيلسوف الاسلام سيدي السيد محمدرشيد رضا الحسيني منشئي
مجلة المنار دامت سعادته وتوات مسراته ،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فمن المعلوم أن أقل مدة الحمل ستة أشهر وأقصاها خمس سنين عند مالك وأربعة عند الشافعي وسنتان عند أبي حنيفة القائلين بجواز رقاد الجنين في بطن أمه ثم يفلق في خلال هذه المدة المحدودة ، ويلحق بأبيه بعد إتمام الموجبات الشرعية . وروى مالك في الموطأ ان امرأة هلك عنها زوجها فاعتدت أربعة أشهر وعشرا ثم تزوجت حين حلت فمكثت عند زوجها أربعة أشهر ونصف شهر ثم ولدت ولدا تاما فجاء زوجها الى عمر بن الخطاب فذكر له ذلك ، فدعا عمر نسوة من نساء الجاهلية قداما فسألن عن ذلك فقالت امرأة منهن أنا أخبرك عن هذه المرأة : هلك عنها زوجها حين حملت فأهرقت عليه الدماء فحشر ولدها في بطنها فلما أصابها زوجها الذي نكحها وأصاب الولد الماء تحرك الولد في بطنها وكبر .

(المارچ ١٢م ١٢) مدة حمل النساء شرعا وطبا ٩٠٩

فصدقها عمر بن الخطاب وفرق بينهما . وقال عمر أما إنه لم يلبثني عنكما الاخير والحق الولد بالاول اه وقال ابن سينا في الشفاء : بلقي من جهة من أثق به كل الثقة ان امرأة وضعت بعد الرابع من سني الحمل ولدا بنتت أسنانه اه وعلى هذا جرى عمل الفقهاء والمفسرين في مشارق الارض ومغاربها قديما وحديثا الى ان ارتقى علم الطب والتشريح واجلاء للعيان علم الطبيعة الذي انتفع بمواهبه وأسرارته بنو الانسان ورأوا ما كان جوارزه مستحيلا واقعا لا غبار عليه . فقام من بين أطباء الافرنج عندنا جماعة حكموا بجمع رقاد الجنين في بطن أمه ونسبوا الى من ادعت رقادها زناها واعتدروا لما عليه علماء الاسلام في هذا الشأن بأن علم الطب لم تنكشف أسرارته في الازمنة الغابرة انكشافها في زمنا الحاضر . وهامي (ذي) واقعة حال صورتها ان امرأة فارقتها زوجها منذ أربعة أعوام بريئة الرحم والآن ظهر به حمل نسبته لمفارقتها الذي ناكرها فيه، وزعمت رقادها في هذه الأعوام واعترفت بعدم مسيس مفارقتها لها بعد الطلاق ، ونشرت معه النازلة لدى المحكمة الشرعية من حيث حقوق الولد أو نفيه كما نشر معها النازلة لدى المحكمة المدنية من حيث رميها بالحمل من زنا . وان أدري ايحكم لها ام عليها في المحكمتين بيد أن النفوس على حيرتها تتطلع الى معرفة هذه الحقيقة الشرعية الطبية ولما كانت لمقامكم العلمي قدم راسخة في العلوم الشرعية ولصديقكم النظامي سيدي محمد توفيق صدقي معرفة عالية في علم الطب جئتكم بهذا السؤال أتمس ادراجه قريبا على صفحات المنار مع الجواب عنه بما يقنع النفوس ويرفع الالتباس ويزيح الاشكال وربما كان النموذجا راجعا عند تعارض الادلة ، لا زلتم ملجأ للسائلين ، وقدوة المسترشدين ، والسلام من معظم حضرتكم حموده بوتيقي

رئيس مجلس عدلية قفصه (تونس)

(ج) اذا قلنا ان مسألة مدة الحمل دينية يجب العمل فيها بما جاء في الدين من غير زيادة ولا نقصان فالواجب حينئذ أن نعمل بقوله تعالى في سورة الاحقاف عن الانسان (٤٦ : ١٥) وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) فاذا كانت مدة الحمل والفصال ثلاثين شهرا وهي سنتان ونصف فكيف نجعل مدة الحمل وحده عدة سنين من ثنتين الى خمس ونقول ذلك هو حكم شرعنا في المسألة ؟ فاذا كان المعلوم لكل

٩٠٢ مدة حمل النساء شرعاً وطباً (المراجع ١٢ م ١٢)

الناس ان مدة الحمل تسعة أشهر فمدة الرضاعة التي يكون الفصال باتسائها ٢١ شهراً هذا هو أقلها الذي لا بد منه شرعاً وأكثرها سنتان كما في آية ٢٣٣ من سورة البقرة ولذلك قال فيها (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) وقد ذكرنا في تفسيرها قول بعض المفسرين انه يستبطن من مجموع الآيتين أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأنها هي التي تبقى بعد طرح ٢٤ شهراً مدة الرضاعة التامة من ٣٠ شهراً مدة الحمل والفصال (راجع ص ٤٠٨ ج ٢ تفسير) فإذا عاش الولد الذي تلقى إمه بعد تمام ستة أشهر من حملها كالشهر السابع والثامن فينبغي أن يكون حظه من الرضاعة أكثر من حظ من يولد لتسعة أشهر ليكون غذاؤه من اللبن عوضاً عما فاتته من التغذية بالدم في رحم إمه فلا تقل مدة الحمل والفصال عن ثلاثين شهراً وهي حكمة ظاهرة فإن زادت ثلاثة أشهر كان ذلك من تمام العناية بالولد . وإذا جرينا على ذلك في جميع الأحكام الشرعية المتعلقة بالحمل نكون موافقين لأقوال أطباء هذا العصر واستقراءهم واختبارهم لأن تحديد القرآن الحكيم لمدة الحمل والرضاعة لم ينقصه من أقوالهم شيء بل لا يزداد القرآن بازدياد علوم البشر الأربعة وظهورها وإذا قلنا ان هذه مسألة دنيوية وما يتعلق منها بالمعاملات الشرعية لا يكفي فيه بظواهر الكتاب أو السنة وما يتبادر من معنى النصوص بل يجب أن يضم إلى ذلك اختبار الناس وما يصلون إليه من معرفة الواقع بطريق الاستقراء والبحث ، قلنا حينئذ ان ما قاله العلماء الذين بحثوا في المسألة من قبل كالائمة الثلاثة الذين ذكرت أقوالهم في السؤال ليس نصاً دينياً يجب التمسك به وعدم اعتبار بحث غيرهم واستقراءه بل يعمل أهل كل عصر بما يصل إليه علمهم واستقراءهم ، وقد وقفنا على طريقة بحث الأوائل في مثل هذه المسألة وهو انهم كانوا يسألون المعجزة ويصدقونهم كما سأل عمر (رض) المعجزة الجاهليات في واقعة المرأة التي نقلت في السؤال عن الموطأ وكما كان الشافعي (رح) يسأل المعجزة عن مدة الحيض والطمهر ومن الجائز أن يكذب بعضهم ويحجب بعضهم عن جهل ، وثقة بعض أئمة الفقه بما سمعه من عجائز زمانه لا يوجب أن يكون ذلك ديناً متبعاً لكل من يعمل بفقهه وان ظهر له استقراء أتم وعلم أصح

(المآرج ١٢ م ١٢) مدة حمل النساء شرعا وطبا ٩٠٣

نعم ان ما قاله الفقهاء غير محال عقلا ولا طبعا فاذا فرضنا ان ما قل اليهم من مكث الجنين في الرحم أربع سنين أو خمساً قد وقع شذوذا كما قل مثل ذلك الى ابن سينا فهل يصح ان يجرى قاعدة مطردة تبني عليها الاحكام الكثيرة لمجرد احتمال تعدد ذلك الشذوذ الذي يسميه أهل هذا العصر فتنة طبيعة كولادة حيوان أو إنسان برأسين ؟ أم القواعد تبني على الغالب المألوف . وما جاء على خلاف الأصل وخلاف الغالب لا يقاس عليه ؟

اذا نحن بنينا أحكام الحمل على ما صدقه بعض أولئك الفقهاء من أقوال النساء نكون قد خالفنا إطلاق القرآن وقيدناه بقيد لا ثقة لاحد من المتعلمين به في هذا العصر ، وخالفنا الثابت المطرد في مدة حمل المرأة وهي انها لا تنكح تبليغ سنة واحدة فضلا عن عدة سنين وخالفنا القياس الفقهي على تقدير صدق أولئك المجاز فيما أخبرن به الأئمة من ان ذلك قد وقع شذوذا فكيف اذا لم نصدقهم ، وخالفنا ما قرره أطباء هذا العصر من جميع الملل والنحل على سعة علمهم بالطب والتشريح وعلم وظائف الأعضاء (physiologie) واستعانتهم في بحثهم واختبارهم بالآلات والمجسات والمسابير والاشعة التي تخترق الجلد واللحم فتجعل البدن شفافا يظهر ما في داخله ويرى بالعينين ، وعلى بناء علمهم على التجربة والاستقراء واستعانة بعضهم في ذلك ببعض على اختلاف الاقطار بسهولة المواصلة البريكية والبرقية ، وعلى كثرة النساء اللواتي على حرية القول وعدم الخجل من إظهار ما لم يكن يظهره أمثالهن في بلادهن أو غيرها من قبل وما لا يظهره غيرهن من سائر البلاد التي لا حرية فيها كحرية بلادهن

ثم اننا نكون مع هذه المخالفات ، اللواتي نحملها لتصديق أولئك النساء المتهمات قد تعرضنا لمفاسد كثيرة (منها) طعن الاجانب في شر يقناطعنا مبني على العلم والاختيار لا على التحامل والتعصب وذلك منفر عن الدخول في ديننا وما نم من ظهور حقيقته لمن لا يعرف منشأ هذه الأقوال عندنا (ومنها) تشكيك الكثير من المسلمين في حقيقة شر يقنا وكونها إلهية ، وأعني بالكثير جميع الذين يتعلمون الطب والذين يقفون على أقوال أطباء وعلماء هذا العصر وتطمئن قلوبهم بأقوالهم في مدة الحمل مع مخالفته لما يظنون انه هو الشريعة المقررة الثابتة بالكتاب والسنة (ومنها) إلحاق الاولاد بغير آبائهم

٩٠٤

اسئلة من جاوه

(المارچ ١٢م ١٢)

وهي مفسدة يترتب عليها مفسد كثيرة في الارث والنكاح وغير ذلك
(ومنها) انه يجزئ المرأة الفاجرة اذا طلقها زوجها أو مات عنها ان تدعي انها
حامل منه وان الولد واقد في بطنها ويكون لديها وقت واسم تستبضع فيه ولدا من
غيره بالزنا ثم تلحقه وتستولي على جميع ماله إن لم يكن له وارث آخراو على أكثره
(ومنها) ان تصدق من يغيب زوجها عنها من سنة الى خمس سنين فيما تأتي به من
ولد في هذه المدة انه منه ، وللفقهاء في أمثال هذه المسألة كلام لا محل هنالك كره ولا
للإشارة اليه باحتراز أو غيره ، فمنهم من يقول ان هذه المرأة تصدق في الحاق ما تأتي
به من ولد بزوجها الغائب وان كانت غيبته أطول من أكثر مدة الحمل مهما كانت
المسافة بعيدة كأن تكون هي في تونس وهو في داخل بلاد الصين التي ليس فيها
سكك حديدية وذلك الاحتمال ان تطوى له الارض كرامة فيجبي من الصين الى
تونس فيفساها ويعود الى مكانه في ليلة واحدة ٠١١ أكثر مثل هذا بعض الحنفية
الذين قال بعضهم بأن مدعي طلي المسافة يكفر !

واذا نحن بينا أحكام الحمل على الظاهر من اطلاق القرآن الحكيم المطابق للواقع
المعروف عند كل الناس ولما يقرره الأطباء وقلنا إذا ثبت غير ذلك في حق بعض
النساء يكون من الشاذ النادر الذي لا يبيني عليه حكم فائنا نسلم من كل تلك المخالفات
والمفاسد ولا نكون قد خرجنا عن هدي أئمتنا فانهم إنما كانوا يتبعون الدليل القوي اذا
ظهر لهم ولكن المقلدين المنسوين اليهم يفضلون العمل بما في هذه الكتب التي بين
أيديهم مهما ترتب على ذلك فلا فائدة من مخاطبتهم بالدليل والله يقول الحق وهو
يهدي السبيل ،

• • •

﴿ اسئلة من جاوه ﴾

(س ٣٩) من (وطني) في تلو سماوي . جنوب اسيه (سنرا)

مولاي الاستاذ الحكيم .

نرى امراء واغنياء هذه البلاد الوطنيين منهم يتهاقون تهافت الفراش على ادخال

أولادهم مدارس الحكومة لتعليمهم لغة أوربا . ولم يفكر وأيوما ان تعليم اللغة العربية من الأمور المطلوبة شرعا لأنها لغة القرآن . وان من المصلحين من يرى ان لارجوع للإسلام الى مركزه الأول الا بعد تعميم هذه اللغة الشريفة بين أتباعه . وإذا جئت تقول لهم ان الواجب الأهم على المسلمين القادرين إقامة مدارس عربية لتعليم أولادهم وأولاد الفقهاء العاجزين لغة القرآن قبل تعلم أي لغة كانت . قالوا ليس المطلوب شرعا هذا . وإنما المطلوب هو تعلم الأولاد مايجب عليهم من مبادئ الدين فقط .

واستشهد بعضهم بدولة الخلافة الجديدة من انها لم تجعل لهذه اللغة مقاما في بروجرام مدارسها واشتهر انها جعلت التركية إلزامية ثم بعض لغات أوربا كالانكليزية والفرنسية . ولو كانت دولة الخلافة مع وجود كثير من رجال الإصلاح الاسلامي في مجلسها ترى بعض مايراه رجال الإصلاح من ضرورة تعميم هذه اللغة بين المسلمين لكانت دولة الاسلام الكبرى هي القدوة للمسلمين في المعمورة . فإذا تقول أيها الأستاذ في هؤلاء ؟ وهل توجد طريقة لاقتناعهم ؟ وهل عندكم علم بماقررت الدولة العثمانية تجاه هذه اللغة الشريفة ؟ وهل صحيح من ان الدولة قررت جعل لغة محكم بلاد سورية والعرب تركية وألزمت المترافعين بذلك ؟ فادركونا بالخبر اليقين . مع الله بوجودكم المسلمين . فنحن على أحر من الجمر والسلام .

(ج) انني أعتقد منذ سنين كثيرة بعد طول البحث في حال المسلمين انهم لاهياة لهم الا بالاهتداء بالقرآن الحكيم سواء منهم من يؤثر الاستقلال في فهم الاسلام ومن يؤثر تقليد بعض الأئمة والعلماء . ذلك بأن هداية القرآن التي أنزل لاجلها ليست محصورة في الأحكام العملية التي أباح جمهور المسلمين من انخلف التقليد فيها بل هذه الأحكام أقلها وأدناها مرتبة فان فوقها آيات العقائد وصفات الله تعالى وسننه في خلقه وأسرار دينه ، والعبر بسيرة رسله في أممهم ، والآداب العالية ، والاخلاق الفاضلة ، وأصول الاجتماع البشري ، والسياسة ، والترغيب في رضوان الله تعالى في الدار الآخرة ، والترهيب من عقابه ، وغير ذلك من الحكم المؤثرة في النفوس ، المصلحة للقلوب ،

ولا يمكن ان يستقني المسلم عن القرآن بغيره في ذلك ، بل أقول ان تفسيره وترجمته لا يفتيان في ذلك عن تلاوته وتدبره لان لاسلوبه من التأثير في النفوس ما حير البلغاء والعقلاء من المسلمين وغير المسلمين من المتقدمين والمتأخرين حتى قال فيه بعض المشركين في زمن التنزيل «ان هذا الاسحر يورث» وقال بعض فلاسفة فرنسا المتأخرين «ان محمدا (ص) كان يقرأ القرآن في حال مؤثرة من الوله والخشوع فيجذب قلوب السامعين الى الايمان به جذبا خارقا للعادة أغناه عن جذبهم بالخوارق والآيات الكونية التي بامثالها آمن الناس بالانبياء من قبله »

يجب على كل مسلم ان يأخذ عقيدته من القرآن أو أن تكون عقيدته مطابقة للقرآن ، ومن قال من المتكلمين ان مسائل الاعتقاد المتعلقة بالآلهيات مقدمة على مسائل الايمان بالوحي والرسول وما انزل اليهم من ربهم فاعلموا ان هذا الترتيب ما يحتاج به على غير المتدين فمن كان لا يؤمن بوجود الله عز وجل لا يدعى أولا الى تطبيق عقيدته على القرآن أو أخذها منه فانه ليس له عقيدة ، وإنما يبدأ في دعوته باثبات وجود الله وصفاته بالدلائل التي جاء بها القرآن والتي هدى اليها من حيث هي براهين لا من حيث هي وحي ، ويثني بالوحي مطلقا ويثبث بالرسول والقرآن ، ولا يراعى هذا الترتيب فيمن ينشأ على الاسلام بل يؤخذ بعقيدة القرآن من أول وهلة وقد ذهب جماهير المحققين من العلماء الى وجوب معرفة الدليل على العقيدة وامتناع التقليد فيها ، والايمان بالقرآن من أصول العقيدة وإنكار شيء منه كفر باجماع المسلمين ، فكيف يستقني مسلم منهم عن معرفته ويعمد نفسه من أهل الدليل في اعتقاده ؟ ومن المعلوم في كتب العقائد أن إيمان المقلد يختلف في صحته بل يقل السنوسي في الكبرى وغيره الاجماع على عدم الاعتداد بإيمانه أي على كفره ، وبعضهم قال بصحة إيمانه اذا كان مطابقا للحق وكان هو جازما به ومن أكبر هؤلاء ابو حامد الغزالي وهو قد صرح في كتاب إجماع العوام عن علم الكلام بوجوب الايمان بصفات الله تعالى كما جاءت في القرآن وانه لا يجوز ترجمتها لان الترجمة لا يمكن أن تؤدي معنى الاصل تماما وفي الانحراف عن الاصل خطو الكفر لا خطأ المعصية فقط

انا قد أفتينا في المنار من قبل بوجوب تعلم اللغة العربية على كل مسلم ، وقول

الغزالي هذا يؤيد فتوانا بل قال لنا أحد علماء الشافعية المدرسين في الأزهر أنه رأى نصا للامام الشافعي في ذلك وما جرى عليه الخلفاء الراشدون وعلمهم ومن بعدهم من الفاتحين الأمويين والعباسيين يدل على ذلك . فانهم نشروا لغة الدين في جميع البلاد التي فتحوها مع بعدهم عن العصبية الجنسية وعدم التفاتهم إليها في معاملاتهم الاجتماعية والدولية . وجميع المجتهدين والقائلين بوجوب الاجتهاد في الدين يحزمون بوجوب معرفة اللغة العربية لان الاجتهاد يتوقف على ذلك كما هو مصرح به في كتب الأصول . وانا نذكر مسلمي جاوة بالبيانات الآتية على وجوب تعلم العربية :

(١) ان القرآن هو آية الله الكبرى على صدق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في دعوى النبوة والرسالة ، وطريق العلم الصحيح بكونه آية معجزة هو فهمه الذي يعرف به وجه إعجازه وكونه آية تشتمل على آيات كثيرة . وان جماهير علماء العقائد قد قرروا ان أقوى وجوه الإعجاز فيه هي بلاغته وأسلوبه ، وهل يعرف هذا الا من يتقن العربية إتقاناً ؟

(٢) ان الله قد أنزل القرآن هدى للمتقين ورحمة لقوم يؤمنون ولا يهتدي به الا من يفهمه كما هو بديهي ولا يفهمه من لا يعرف العربية

(٣) ان الله تعالى قد حث على تدبر القرآن في آيات كثيرة « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ، ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم » « أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يات آباءهم الاولين ، أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون » ؛ ولا يمكن تدبره الا بفهم لفته

(٤) ان الله قد أوعده من يعرض عن القرآن بترك تدبره والاهتداء به أشد الوعيد كقوله « ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » الخ الآيات ، ومن البديهي ان ترك تدبره والاهتداء به هو عين الاعراض عنه والهجر له الذي يخشى ان يدخل صاحبه في زمرة من اشتكى منهم الرسول (ص) الى ربه عز وجل كما قال تعالى في سورة الفرقان « قال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا » وقد بالغ بعض علماء الحنفية في التوقي من الدخول في زمرة هؤلاء حتى قالوا انه يكره ان يواظب المرء على قراءة سورتي الم السجدة والانسان في صلاة فجر الجمعة لما في ذلك من هجر غيرهما من القرآن ! . فاذا قالوا في قراءة سورتين وردت

قراءتهما في السنة فإذا يقولون فيمن لاحظ له من فهم شيء من القرآن لعدم معرفته؟
(٥) ما تقدم شرحه في وجوب اخذ العقيدة من القرآن أو مطابقتها له على الأقل
(٦) ان الصلاة وهي عماد الدين المفروضة على كل مسلم ومسلمة لا تصح الا بقراءة شيء من القرآن فيها وأركان أخرى كالتكبير والتشهد كلها عربية والمقصود منها فهمها لان فهمها هو الذي يؤثر في النفس ويذكرها بعظمة الله تعالى ومراقبته فتكون جدرة بأن تنهأ عن الفحشاء والمنكر كما وصفها الذي فرضها بقوله د ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» وبأن تكون عوناً للعبد على مقاومة المصائب والنوائب كما قال تعالى «واستمينوا بالصبر والصلاة» وبأن تحول بينه وبين الهلع كما جاء في سورة المعارج ومن لا يعرف العربية لا يستفيد من صلاته ذلك ومن لم تنبه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله الا بعداً كما ورد

(٧) ان الخطب المشروعة في الاسلام من مفروضة ومسنونة كخطبة الجمعة والعيدين وعرفة كلها تؤدي باللغة العربية لغة الدين، فمن لا يعرف العربية من المسلمين لا يستفيد منها بل تكون هذه العبادة كسائر عباداته العربية رسوماً وتقاليد صورية والاسلام أجل وأكبر من ذلك

(٨) ان الاسلام قد جاء بدعوة جميع البشر الى ترك الشقاق والعداوات الجنسية والدخول في السلم كافة ليكونوا أمة واحدة ويتآخروا في هذا الإصلاح فلا يتعصب أحد لجنس على جنس كما ثبت في آيات واحاديث كثيرة. ولا يتم هذا الارتباط والتآخي بين الداخلين في هذا السلم الا اذا كان لهم لغة واحدة يتعارفون بها، وهل توجد لغة لهذا الجمع الكبير من الأخوة يتعارفون بها غير لغة الدين الذي يتعرفون به الى ربهم عز وجل ويرجون رحمته ويخشون عذابه؟

هذا ما اتسع له الوقت القصير من البيانات على وجوب تعلم المسلمين لغة دينهم كتبه في أحد الاندية العامة في القسطنطينية على عجل وقد قرب الوقت الذي اودعه فيه بالبريد فاكتفي به لاشير الى شبهة ترد عليه وهي:

ينكر علينا ما تقدم بعض المتفرجين من المسلمين، الذين غلبت في نفوسهم نزعة الجنسية الجاهلية على نزعة الدين، فهم يحاولون مقاومة ما يجدونه في العالم الاسلامي

من الشعور بخطر التفريق والميل الى التعارف وإحياء ما اندرس من معالم الاسلام فيقول هؤلاء المنكرون إن الاسلام ليس له لغة فيمكن لكل جنس من الاجناس التي دخلت في الاسلام ان يترجم القرآن والأحاديث الى لفته ويستقي بها عن الاصل العربي وقد بينا في آثار من قبل ان ترجمة القرآن ترجمة تقوم مقام الاصل متفردة قلن القرآن معجزة تشمل على معجزات كثيرة ولا يمكن ان تكون الترجمة كذلك . وان القرآن مؤثر بأسلوبه في القلوب ولا تكون الترجمة كذلك كما بينا ذلك بالايجاز في أول هذه الفتوى وسنزيد ذلك بيانا في وقت آخر

واما زعم اولئك الجاويين أن دولة الخلافة الجديدة لم تجعل لهذه اللغة مقاما في بروجرام مدارسها الخ ما قالوه فهو زعم باطل وكذا نعتهم بـ «أطلعنا بعض الناس هنا على آخر بروجرام المدارس الاعدادية فرأينا فيه عدد الدروس العربية مساويا في بعض السنين للغة الارمن ولغة البلغار الاختياريتين» وقد اشرنا الى هذا في مقالنا «العرب والترك» الذي كتبناه ونشرناه في بعض جرائد العاصمة نصيحة لأولي الامر ثم راجعنا البروجرام كله فوجدنا ان دروس العربية في النحو الصرف وحفظ بعض المشور والمنظوم قد قررت فيه تقريرا . نعم ان ما هو مقرر غير كاف وان هذه البروجرامات والقوانين لا تنفذ كما يجب ولكن كان هذا من طبيعة الخل الذي جرت عليه الدولة في دور الاستبداد الطويل العريض ونرجو ان يصلح الحال في دور الدستور وان كان يوجد في بعض رجال الحكومة الآن أفراد كثيرون متمصبون للجنسية التركية تعصبا ضارا وهؤلاء هم الذين حاولوا جعل المرافعات في محاكم البلاد العربية بالتركية وترون بيان ذلك مفصلا في مقال «العرب والترك» من هذا الجزء، ونحن ساعون في تدارك ذلك والله الموفق

﴿ الزكاة في القراطين المالية ﴾

(س ٤٠) من صاحب التوقيع الرمزي في (سمبس برنيو)

حكيم الاسلام والمسلمين ، سعد الملة والدين ، حضرة سيدي الأستاذ السيد

٩١٠ الزكاة في القراطيس المالية (الملتاح ١٢ م ١٢)

محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر متعني الله بعزير وجوده آمين
بعد إهدائك عظيم تحيتي واحترامي جزاكم الله عنا جزاء موفورا وجعل سعيكم
صيا مشكورا على فنياكم في حكم القراطيس المالية بوجوب الزكاة فيها . وهي التي
نعتد عليها وتمسك بها غير اني أرجو من فضيلة سيدي الجواب عما سألت عنه
وهو : من أي طريق عدت هذه القراطيس من النقود الذهبية ؟ واستمليت حتى
أوفته الى حضرة سيدي فوضوه لي أشكركم
وأرجو أيضا سيدي أن تنظروا الى أقوال القائلين في هذه القراطيس منهم
من قال أنها لا تجب فيها الزكاة إلا زكاة التجارة وأنها كفولس النحاس في عدم
وجوب زكاة العين فيها اه ومنهم من قال انها في حكم السندات تجب فيها الزكاة
على قدر الدراهم التي بها من فضة أو ذهب اه
فهل هذان القولان لهما وجه صحيح أم لا ؟ تفضلوا سيدي بزيادة الايضاح في
هذه المسألة حتى لا أعيد ذكرها بعد . ولكم من الله جزيل الاجر ومنى جميل
الحمد والشكر
ملتصم الدعاء

م . ب .

(ج) ان هذه القراطيس لا يفرق بينها وبين نقد الذهب أحد من المالكين
كما هو معروف للتعاملين بها وهناك اوراق أخرى تسمى سندات مالية تؤخذ في
مقابلة حصة معينة بالسهم من شركة مالية وهي أشبه بعروض التجارة لان ثمنها
يزيد في السوق وينقص وتباع كذلك وتشترى ولكنها لا قيمة لها في ذاتها
وقد بقي بعض الفقهاء في المسائل المالية المستحدثة في هذا الزمن وهو على غير
هيئة من انواعها وعرف الناس فيها ومن كان عارفا منهم بذلك يقيس عرف
الحادث على ما يراه اشبه به في عرف سابق مما تكلم عنه الفقهاء فبعضهم يرجح في
ذلك جانب المعنى أو المقصد ومنهم من يرجح جانب اللفظ أو الصورة فمن قال ان
القراطيس المالية التي تدعى « بنك نوت » ويطاق عليها بعض العرب لفظ « الانواط »
هي من عروض التجارة وجعل التعامل بها كبيع العرض بمثله أو بالنقد فقد بالغ في
الوقوف عند ظاهر الصورة ، فالعروض قيمها ذاتية وهذه لا قيمة لها في ذاتها ومن

(المجلد ١٢ م ١٢) الأحاديث الموضوعة في كتاب الأحياء ٩١١

قال انها في حكم السندات والسفانج راعى الصورة ايضا من جهة والمعنى من أخرى ووجه قوله انها اوراق تؤخذ في مقابلة نقد ويسترجع مثل ذلك النقد باعادتها ، وفصل عن الفرق الكبير بينها وبين السندات بالمعنى الفقهي وهو ان السند يكون بيد من على شخص معين وهذه القراطيس تروج في الاسواق المالية فيشتري بها من كل احد كالتقدين بلا فرق ...

هذان القولان يتفقان مع قولنا في غايته من حيث الزكاة إلا عند من يقول ان الدين لازكاة فيه قبل قبضه و يترتب على الخلاف من المسائل المهمة ان جعل القراطيس المالية كالتقدين يقتضي وقوع الربا فيها وهو ما يجزم به ومن قال إنها عروض تجارة منع الربا فيها وحينئذ يسهل على كل أحد أن يأكل الربا أضاعفا مضاعفة بهذه الاوراق التي لا فرق بينها وبين الذهب عند أحد من المالين ، وكذلك القول بانها في حكم السندات قد يكون موصلا لا كل الربا ولمنع الزكاة ولا حاجة الى تفصيل فننظر الى حقيقة المسألة في الواقع واحاط لدينه اخذ بما قلناه والسلام

﴿ الأحاديث الموضوعة في كتاب الأحياء وروايتها ﴾

(س ٤١) ومنه أيضا

حضرة العلامة المنفصال سيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء متفني الله بعزیز وجوده آمين

بعد اهداء أسمى السلام والتحيات العظام: تعجب بعض الأفاضل مما ذكر في كتاب أسنى المطالب ونصه « اعلم ان كتاب الأحياء لسيدنا الغزالي مع جلالة قدره وعلمه مرتبة ورسومه قدمه في العلم لا يعتمد عليه في الحديث لذكركه في كتابه المذكور جملة من الأحاديث الموضوعة » اهـ (ص ٢٦٨) فهل يتصور أن حجة الاسلام شحن كتابه الجليل بالموضوعات ؟ خصوصا وقد زينت مجلة المنار بترجمة صاحب ذلك الكتاب وقد قلم : وانما صرحت بهذا ليعلم من يقرأ ترجمة حجة الاسلام في

٩١٢ الاحاديث الموضوعة في كتاب الاحياء (المخرج ١٢م ١٢)

المنار — الى قولكم — ولعل ذلك يكون مشوقا لهم (أي طلاب العلوم والازهرين) الى مطالعة الاحياء وغيره من كتبه (٨٥١ — ١٠ ص ٥٩٥)

وعليه فبل يجوز لمن لا يتميز له الصحيح من الضعيف أو نحوه رواية أو قراءة ما فيه من الاحاديث احتياطا أم لا ؟ تفضوا سيدي ببيان الحق لئلا نكون في ريب مما أتى به حجة الاسلام من احاديث سيد الانام لا زلتم في اجلال واكرام (ج) ان مقاله صاحب كتاب أسنى المطالب حق وسند ك ذلك في ترجمته التي نشرها في المنار فان لها بجهة صالحة ، وان أبا حامد الغزالي رحمه الله تعالى لم يعن في أول امره برواية الحديث وحفظه وكذلك كان الكثيرون من الفقهاء والمتكلمين والصوفية ولا سيما في عصره وبعد عصره ، وانما عني بالحديث في آخر عمره . وقد جمع التاج السبكي في ترجمته هذه الاحاديث المطعون في روايتها في عدة صحائف من طبقات الشافعية الكبرى ووضع الحافظ العراقي كتابا خاصا في تخريج احاديث الاحياء وهو الذي اعتمد عليه الزبيدي في شرحه للاحياء وزاد عليه مباحث وفوائد واذا كان الامر كذلك فلا يجوز لغير العارف بالحديث المطمع على تخريج تلك الاحاديث ان يعتمد عليها في الاستدلال أو يجزم برفعهما الى النبي صلى الله عليه وسلم الا ما اسنده الغزالي الى الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث المعتبرة وهو يفعل ذلك كثيرا في مقام الاحتجاج والاستدلال بعزو الحديث الى الصحيحين أو كتب السنن . واكثر ما فيه من الاحاديث الضعيفة والموضوعة قد ذكر في مقام الترغيب في العبادات والفضائل (كصلاة الرغائب في رجب وصلاة شعبان) أو التهيب والتنفير عن المعاصي والردائل ، وهم يتساهلون في مثل هذا المقام بتأييد كلامهم بالروايات الضعيفة على ما في ذلك من الخلاف والتفصيل في شروط جوازه عند من أجازوه . وحاش للغزالي من تعدد ايراد الموضوعات وانما قل ما قلناه منها من الكتب التي أحسن الظن بموثوقيتها كقوت القلوب لأبي طالب المكي فمعظم الاخبار والآثار الضعيفة والمنكرة والموضوعة في كتاب الاحياء منقولة من ذلك الكتاب

العرب والترك (*)

٤

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

قد انشق ليل الاستبداد عن صبح الدستور والعثمانيون الذين في بلادهم نيام يغطون : بعضهم يرى احلاما مخيفة ، وبعضهم يرى احلاما سخيقة ، والذين في بلاد الحرية قيام يرقبون : بعضهم يتعلل بالآمال القوية ، وبعضهم يلهو بالآمال الضعيفة ، فاستيقظ بصوت مؤذنه الثائمون ، وحمد غيب سُرهم المجدون ، وعاود الرجاء نفوس اليائسين ، وغادر العداء قلوب المتدبرين ، واقبل المسلم بوجهه على النصراني ، والتركي على الارمني ، وعانق الشيوخ القسوس ، وصافحت الشعوب الشعوب ، واذن مؤذن بينهم (عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ، والله عزيز ذو انتقام)

هكذا كان العثمانيون في نشوة من السرور العام ، الذي كاد يكون مناضات الاحلام ، أو من خوارق العادات ، بعد انقضاء زمن المعجزات ، لتأليف الدستور بين الشعوب الكثيرة المختلفة في الاديان والمذاهب والمشارب والعادات واللغات والبقاع والتربية والتعليم ، وهي ضروب من الاختلاف لم تعهد في أمة ولا مملكة ، وبعضها كاف لا استمرار للاختلاف والافراق ، ومنع الاتحاد والاتفاق ، وانهم لذلك واذا بنباء من بعض الترك بمصر ، ونبأت من كتابهم بالاساتنة قد اجفلت الودعين الساكنين ، وروعت الآمنين المستبشرين ،

كتب أحد شبان الترك المقيمين في القطر المصري مقالات في جريدة الاهرام

(*) تابع لما نشر في « ص ٨١٨ ج ١١ » من هذا المجلد

(المجلد الثاني عشر)

(١١٥)

(المجلد ١٢)

يفخر فيها العرب بقومه وجنسه معبرا عنهم بالملة المملوكة، متبجحا بزعمه انهم هم وحدهم الذين أزالوا الحكومة الاستبدادية، وأدالوا منها الدستور والحرية، وانهم هم وحدهم الذين لم الحق بالتمتع بثمرات الدستور الكاملة، وليس للعرب ولا لغيرهم من الاجناس ان يطعموا في مساواتهم في مناصب الدولة وأعمالها لأن ولاياتهم مستعمرات أو مستملكات للترك، فيجب ان يكون قصارى حظ العرب من الدستور ان يستريحوا من اعباء الظلم ويتذوقوا طعم العدل فيكونوا من الترك كأهل الجزائر من فرنسا أو أهل الهند من انكلترا !!

هذه المعاني العالية كانت تصخ مسامع العرب أحيانا في عصر الاستبداد، وقلما كانت تكتب ولا سيما في مثل مصر التي هي أرقى من جميع الولايات التركية علما وعملا وثروة وحرية، وفيها الاقلام المرهفة، والالسنه الذلقة، والقلوب الجريئة، نعم كانت كتبت منذ بضع سنين في جريدة «ترك» التي كانت تصدر في القاهرة محررة بأقلام نفر من أذكاء الترك كعلي كمال بك وجلال الدين بك عارف. أسرفت تلك الجريدة في الفخر بجنس الترك معبرة عنهم بالملة المملوكة وحققت العرب في سياق الكلام عن مواكش ونصبت الميزان للترجيح بين الترك والعرب والخلافة العربية فجعلت العرب كلهم بمنزلة قبائل المغرب الاقصى وفاخرتهم بالترك في مدارسهم وودواوينهم وقصورهم وجيوشهم وملأت مواضعها بالفخر والتبجح ناسية ما يكتب فيها وفي غيرهما من الجرائد العثمانية في البلاد الحرة في وصف مظالم خليفهم عبد الحميد خان وافساده للمملكة وتخريبه للولايات التركية والعربية والكردية والالبانية والرومية ومنعه للعلم وعيشه حتى في الجيش وفرار كتاب جريدة «ترك» وغيرهم من ظلمه الى مصر العربية. ولا أقول ان كاتب تلك التبجحات الفثة الباردة نسي عدل الخلفاء الراشدين وعلوم العباسيين في الشرق والامويين في الغرب بل أقول انه عمي عن البلاد التي اوى اليها والمدينة التي يطعم جريدته فيها وهو يرى العرب فيها أرقى من قومه علما وثروة ومدنية. وليكتفي ذكرت تلك الجريدة يومئذ بخطأها في تحريك العصبية الجنسية التي أماتها الاسلام وبوجوب اتحاد العرب والترك وضرر تفرقهم باختلاف الجنس. وبأن العرب اذا فآخروا أي جنس بجنسهم فانهم يفخرونه ويبدونه :

هم الأولى ان فاخروا قال العلا بفي امرىء فاخركم عفر الثرى
هم الأولى جوهرهم اذا اعتزوا من جوهر منه النبي المصطفى
وانما كتبت ذلك الرد في المنار على جريدة ترك لتلايفها السكوت عنها بالتمادي
في ذلك التبجح الذي يولد الاضغان ويؤثر الاحقاد وينفر المصريين وغيرهم
من الدولة العلية ، وافتح في المسلمين باب الشقاق باختلاف الجنسية ، ولكن كتاب
تلك الجريدة صاحوا بعد ردي صيحة أخرى ثم خفت صوتهم لاني لم أشأ أن تستمر
المناظرة في ذلك . ثم قام أحدهم جلال الدين بك عارف يوم احتفالنا باعلان الدستور
خطيباً فقال : انا اليوم قد تنازلنا عن كلمة « ترك » وهي محبوبة لنا فكلنا عثمانيون
لا فرق عندنا بين الترك والعرب والروم والارمن وغيرهم ، فصفت الجماهير المختلفة
لقوله هذا تصفيقا وكذلك قال غيره من سائر الخطباء العثمانيين ونادى لسان الحال
والمقال الدستور يجب ما قبله كما ورد في الحديث الشريف « الاسلام يجب ما قبله »
فلما انبرى ذلك الكاتب التركي بعد ذلك لكتابة ما ذكرنا تذكر الناس ما كان
كتب من قبل وما كان يقال ، وأقبل العثمانيون بعضهم على بعض يتساءلون : قال
أكثر من واحد منهم ان القوم لا يتركون ما يألون وانهم سيستبدون مجتمعين كما
استبد آحادهم (كعب الحميد) منفردين ، وربما كان استبداد الجماعة أشد وأبقى من
استبداد الواحد . وقال الاكثرون : إن هذا إلا شاب مفرور لا يزال جذعا في
السياسة وان القرح والبزل من سياسة الترك المحنكين لا يقولون بقوله ، ولا يدينون
برأيه ، ولكن لم يلبثوا ان سمعوا تلك النباآت الاخرى من جرائد العاصمة (الأستانة)
ورأوا اعمالا من الحكومة الجديدة استدلو بها على التحامل على العرب وهضم حق
العربية فنفرت القلوب وساءت الظنون

قامت بعض جرائد الأستانة تضرب على نفمة التغاير بين الترك والعرب وتلفظ
بتلك الكلمات المنفرة « ملة مالكة ، مستملكات ، استقلال العرب ، الخلافة العربية ،
بفض العرب للترك ، فضل الترك على العرب ، عجز العرب عن تدوين لغتهم » ونشر
الاسلام خارج جزيرتهم ، « الى غير ذلك من الكلم الدال على الجهل بالتاريخ أو
تعمد العبث به فيما يضر ولا ينفع . وكان من أشهر هذه المباحث التي حركت التغاير ،

واحدثت التنافر، مانشر في جريدة (اقدام) من اقتراح تنقية اللغة التركية من الالفاظ العربية، وما أودعه بعض الكتاب في مقالات نشرت فيها عن السنوسية، ومنها طعن بعض الجرائد في المصريين وفي الدمشقيين خاصة، وأهل هذين المصريين هم اعظم العرب حضارة وأوسعهم مدنية وفيهما السراة والاباة والعلماء والكتاب

رب قول يصدر عن حسن نية ويكون جديرا بأن يحترم وان كان خطأ يحدث من الأثر السيء ما لم يكن يراد به، ويتفاهم ذلك بمقتضى الحال وطبيعة الزمان، وطريقة الاداء والتعبير، وكذلك كان حظ اقتراح صاحب (اقدام) بدعواه في تنقية التركية من الالفاظ العربية - يقول هو ان هذا بحث في محض وان الفرض منه الاستغناء عن الالفاظ العربية التي يوجد في التركية ما يقوم مقامها، ولكن لماذا طلب هذا المصلح اللغوي تطهير لغته من العربية دون الفارسية والفرنسية؟ وبقول ان هذه فلسفة مبتسرة كان يجب عدم الخوض فيها الآن وان الكلام عندما ينتقل من لغة الى أخرى ويتحدث به الخاص والعام يعرض له التحريف والتبديل ويفسر بحسب الحال الغالبة فقد شاع في بلاد سورية ومصر وغيرها من البلاد أن بعض كتاب الترك يدعون قومهم الى الابطعاد عن العرب حتي في ترك الالفاظ العربية المستعملة في لغتهم وانهم يعبرون عن ذلك بلفظ التطهير كأنهم يرون اللغة العربية نجسة قد تدنست بها التركية !! وانتقل بعض الناس من المألوم الى اللازم فقالوا إن هذا الكلام بعد طعنا في كتاب الله عز وجل وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم وان هذه الدعوى قد تكون مقدمة لدعوة أخرى تترتب عليها اذا أجبت وعمل بها وهي الدعوة الى الارتداد عن دين الاسلام لأن أصله وأساسه من الكتاب العزيز والسنة السنية، وانما هما باللغة العربية، والرسول الذي جاء به عربي (صلى الله عليه وسلم)

الى هذا الحد البعيد وصل سوء تأثير ذلك الاقتراح الفني لنشره في هذا الوقت النحيف (أو النازك كما تقول الترك) الذي يجرحه مر النسيم، ويديمه لس الحرير، وقد ردت بعض الجرائد العربية على هذا الرأي فعرفه الناس وعدوه ذنبا للترك ولم يعلم السواد الاعظم منهم ان من كتاب الترك انفسهم من رد على مقترحه بأوسع مما رد به كتاب العرب

وقد سمع أيضا من جريدة طنين كلام في غصص العرب لم يكن كلنين الذباب

فيناسب اسم الجريدة بل كان كدوي المدافع وقصف الرعود لا شتهار هذه الجريدة بأنها لسان جمعية الاتحاد والترقي ومظهر سياستها ومكان الجمعية من سياسة الدولة معروف ولا سيما في أوائل العهد بالانقلاب — فهذا من الاسباب القولية في سوء التفاهم والتنافر بين الترك والعرب الذي نجم قرنه بعد الدستور فزلزل الآمال الجميلة وأساء تعبير الاحلام اللذيذة ، وقد سمع شيء منها من بعض رجال الحكومة الدستورية كل من سليمان بك نظيف والي البصرة في الحزب الوطني المصري وهو في مصر اثناء مروره بها في سفره الى البصرة وقد اشتهر هذا لرد جريدة اللواء عليه ولكنه قال قولاً آخر شراً منه وأسوأ تأويلاً : قال في سياق الكلام على الفن التي تحدث في جزيرة العرب ما مآله : ان الدولة مستعدة لسحق أولئك العرب بالقوة القاهرة فان عندها سبعة فيالق من الابطال !!! فهل يصح أن يقال مثل هذا القول بمصر أو بمصر مصر ؟ وهل تدرب الدولة الجند من ابناء الامة لاجل سحقها وتدميرها ؟ أم لاجل حمايتها وتعزيزها ؟ أما كان ينبغي له أن يقول ان أولئك العربان وغيرهم كانوا مرهقين بالظلم وسوء الادارة وسنريهم العدل والنظام فنجعلهم بذلك يتفانون في حب الدولة وطاعة الحكومة ؟؟

ومن أسباب سوء التفاهم ان كثيراً من احرار العرب الذين جاهدوا في سبيل الدستور حق الجهاد (ومنهم من هو معروف الاسم أو الشخص عند اكثر احرار الترك) وكثيراً من الفضلاء والكتاب الذين اظهروا الاحتفال بالدستور بخطبهم ومقالاتهم جاؤا الاساتذة زائرين ومختبرين ، واكثرهم كانوا ممنوعين منها ومحرومين ، فلم يعبأ بهم احرار الترك ولا رأوا منهم عواطف الاخاء كما رأى الارمن مثلاً . وأما الاسباب المتعلقة بحكومة العاصمة فمنها اسرافها في عزل ابناء العرب من وظائفهم حتى انها عزلت في وقت قصير زهاء بضعة عشر متصرفاً منهم ، ومنها بخلها بالوظائف على طلابها منهم وجودها بها على غيرهم من العناصر الاخرى ، ومنها تعجلها بأمر تشعر بتعمد اضافة اللغة العربية كجمل المرافعات في محاكم الولايات العربية باللغة التركية مع علمها بأن الناس يجهلون فيها في الغالب حتى وكلاء الدعاوي (المحامين) — وكجمل الكشوف (البيانامه) التي يقدمها التجار من ابناء العرب

في بلادهم الى ادارة المكس (الجرك) باللغة التركية أو الفرنسية مع تسر ذلك أو تعذر عليهم واقتضائه نفقات كانوا في غنى عن بذلها — وكهدم قبول عرائض الشكوى بالعربية حتى في مجلس الامة مع ان المشتكين من الامة وهي ذات لغات متعددة للعربية منها مكانة خاصة من حيث هي لغة الدين الرسمي الذي يكفله مقام الخلافة كما سنيين ذلك بعد

ومنها ما يتعلق بنظارة المعارف خاصة كالفاء الدروس العربية من المكتب الملكي في العام الماضي (ولكنهم أعادوها في هذا العام) وكجعل العربية في المدارس الاعدادية اختيارية كاللغة الارمنية واللغة الرومية وعدد دروسها كعدد دروسها مع كون العربية اصلا من اصول اللغة الرسمية يحتاج اليها في اتقانها اكثر مما يحتاج الى اللغة اللاتينية لاتقان الفرنسية ، وكونها ينطق بها اكثر العناصر العثمانية عددا وأقلهم لها معرفة ، وكونها لغة الدين الاسلامي الذي هو الدين الرسمي للدولة — وكارسال النظارة خمسة وسبعين تلميذا من مكاتبها الى أوربا لتحصيل العلوم العالية ليس فيهم غير اثنين من ابناء العرب — وكارسالها معلمين من الترك الى مدارس البلاد العربية لأجل تعليم العربية نفسها وهم يجهلون — وكتعصب بعض المعلمين في المكاتب العالية على ابناء العرب واسماعهم ما يجرح عواطفهم حتى في الدروس

ومنها ما يتعلق بنظارة الحرية كاستحضارها الضباط ولا سيما اركان الحرب منهم من الولايات العربية الى سلايك والآسانة ثم تفرقهم في البلاد التركية — وكأخراجها بعض التلاميذ العرب من المكتب الحربي حتى بصورة ادارية كما أشيع في مصر وغيرها . ولعل الشبهة او الشبه المتعلقة بنظارة الحرية اضعف من الشبه المتعلقة بغيرها ولا أرى شيطان التفرق بين العنصرين يقبل وسواسه فيها فالحرية في دولتنا هي أرقى ما فيها فنسأل الله تعالى لها ولسائر النظارات اكل التوفيق وأنتم النظام

ومنها ما يتعلق بمجلس الاعيان فقد كان ينتظر أن يكون فيه اعضاء من العرب ولو بعدد ولاياتهم ان لم تقل بحسب عدد نفوسهم ولكن ذلك لم يكن ومنها ما يتعلق بمجلس المبعوثين وهو المظهر الاكل للمساواة والاخاء ولكن

اخباره في السنة الماضية لم تكن تدل على ما نحب من توثيق الرابطة بين العرب والترك كسائر العناصر بل وجد العرب امورا متقدمة ، ووجوها متجهمه ، وسمعوا من بعض اخوانهم كلاما لا نحب أن يكتب ويطعم ونرجو أن يكون هذا العام خيرا من سابقه وأن يكون مجلسنا وسائر امورنا العامة في ارتقاء دائم بالاخاء الصحيح والمساواة مع الاخلاص بسعي الفضلاء محبي الوفاق من العنصرين وسائر العناصر تلك كليات من اسباب ما سميناه سوء التفاهم بين الترك والعرب وفي ضمن تلك الكليات جزئيات كثيرة

لا أقول ان كل ما روي من ذلك صحيح المتن والسند ولا أقول ان ما صح منها كان بسوء النية وتعمد هضم حقوق العرب ، ولكنتي لا أستطيع أن أنكر قول من يقول انها في مجموعها تفيد التواتر المعنوي الدال على انه يوجد في رجال الدولة ورجال الصحافة التركية أناس يسيئون الظن بالعرب ولا يعطونهم حقوقهم ولا يعرفون قيمة اتحادهم بالترك واتحاد الترك بهم ، وانه تتوقف عليه حياة الدولة العثمانية وبقاؤها وان هذا الاتحاد تقتضيه طبيعة العنصرين الاجتماعية وان دار الخلافة والسلطنة هي الآلة التي يكون بها التركيب والتحليل ، وان الكيماويين الاجتماعيين الذين يحركون هذه الآلة هم رجال الحكومة ورجال الصحافة ، وانه يجب في هذا الدور - دور الانقلاب والتحول من الاستبداد الى الدستور - أن يؤخذ على أيدي المحللين بسوء القصد أو بسوء الفهم حتي لا ينقل عن العاصمة الا ما يدل على ارادة المزج والتركيب والاعتصام والتأليف . ولكن وجود هؤلاء الجاهلين بهذه الحقائق والمسيئين الى العرب بأقوالهم وأفعالهم لا ينافي كون العنصر التركي أخا للعنصر العربي ومحبا له كما يجب هو ، ولذلك قلنا فيما سبق من نُبذ مقالنا هذا ان التغير والتنافر محصور بين المتزاحمين على اعمال الدولة ومناصبها وبين رجال الصحافة وحمله الاقلام وسأين طريقة تداركه مع حفظ حرية الصحافة وتنفيذ قوانين الحكومة ولو بترجيح الترك في المناصب ترجيحا مقرونا بالحكمة والدوق

ان ما أشرت اليه من اسباب سوء التفاهم قد سرى في أكثر البلاد العربية ولا سيما أرقاها وهي المصرية والسورية بسرعة الكهرباء وكثر حديث الناس فيه

وخاضت فيه الجرائد ولها العذر وتبارت فيه اقلام الكتاب والشعراء فيجب تداولهم قبل أن يتم نشره فيصل الى سائر البلاد والبوادي وقبل أن تضعف حجة امثالثنا من محبي الوفاق والساعين في الاتحاد الذين اجتهدوا ولا يزالون يجتهدون في الاعتذار عن الحكومة ، وما كل عذر يقبل ولا سبيل الى ايصال الاعتذار الى الملايين اذا قلنا ان الحكومة عزلت الجلم الفقير من عمالها العرب لانها نظن انهم من صنائع أبي الهدى وعزت العابد يقال لنا ولماذا لم تعزل جميع رجال الدود السابق وهم صنائع عبد الحميد وبقية رجاله من الترك وقد ثبت بالبيان والبرهان انهم خربوا المملكة لان العمل كان في أيديهم ؟! وكم سألتنا وسأل غيرنا من الناس : ماذا ثبت على أبي الهدى وعزت العابد من الخيانات والاعمال الخربة للدولة ؟ أما أنا فلا أعرف لها ذنبا خاصا وراء ثقة عبد الحميد بهما وما نالاهما من مال وجاه الا أن الاول آذاني وآذى اهل بيتي بسعيه او سعائته والثاني اذا كان لم يوافق على ذلك فانه لم يعارض فيه ، فانا على عدم حمدي لاحد منهما وعدم دفاعي عنهما لا أرى من العدل عزل كل من نال عملا في الحكومة بجاههما ، وأعلم ان كثيرا ممن عزل من العرب لم يكن له صلة باحد منهما ، وان بعض المتتمين اليهما لا يزالون في اعمالهم . وانما اعذر الحكومة بعض العذر بأن كثارها من عزل العرب وغيرهم كان من بعض الاضطراب الذي جاءت به طبيعة الاقلاب ، وقد آن أن أئين شيئا من ضرر التنازع وطريقة ازالة سوء التفاهم ، وقطع عروق التقاطع والتدابير ، وهو موضوع النبذتين التاليتين

٥

ما كاد ليل الاستبداد ينجلي بصبح الدستور ، وتنقضي أيام الاحتفال بعيدة في فرح وسرور ، الا وبادر كاتب هذا المقال الى زيارة القطر السوري زائرا ومختبرا للبلاد التي نشأ فيها وحجبه الظلم الحميدي عنها احدى عشرة سنة ، فطفت المعاهد ، وبلوت الافكار والسرائر ، فما رأيت فيما رأيت للزعة الجنسية العربية حركة ، ولا سمعت فيما سمعت لها دعوة ، اللهم الا ثلما لداعية الجمعية العربية العثمانية ، منعكسا عن الآستانة العلية ، لم يفهم منه معنى التفرقة ، ولم تشتد من الجمهور فيه الرغبة ، وكنت

مع هذا انفر الناس عن هذه الجمعية، وأنشأ من تسميتها بالعربية، لثلاثتهم منها
إخواننا الترك معنى العصبية الجنسية. بل أقول طالبا السماح والمفهوم مؤسسيها أنني
لم أكن أحسن الظن فيهم، ولا أبرئهم من الاغراض الشخصية - دون الجنسية -
في عملهم،

و كنت أقول في خطبي ودروسي في البلاد انه يجب على كل بلد أو ولاية عثمانية
أن تُعنى بترقية نفسها بالعلم والثروة، لتكون عضوا قويا عاملا في بنية الأمة، وممددا
عظما لتعزيز الدولة، لا لأجل انفراد أهلها بأنفسهم، أو اعتصامهم بأبناء جنسهم، (أي
الجنسية اللغوية لا السياسية) فإن الأمم المستقلة في أحكامها المختلفة في لغاتها ومذاهبها
ومواقفها، يتحد بعضها ببعض ليقوى الجميع بالمخالفة، فكيف تضعف الشعوب العثمانية
نفسها وهي أمة واحدة - بالتفرق والمخالفة،؟ نعم ان على العرب ان يحبوا لغتهم، وان
يطالبوا الدولة بمساعدتهم، لان لغتهم في الدرجة العليا من الارتقاء، ولها في العلوم
والآداب أفضل تراث، وهي لغة الاسلام، التي يتدارسها المسلمون من جميع الشعوب
والاقوام، فهي رابطة الاخاء والمودة المعنوية، بين الملايين المذعنين للديانة والخلافة
الاسلامية، قترقية هذه اللغة خدمة للدولة العلية وترقية لها - فكنت أرى الجماهير
يقبلون كلامي بقبول حسن وما كنت أرى أحدا يعارضني بتوهم الفصل بين
الترك والعرب،

هذا ما كانت عليه البلاد في العام الماضي وكانت قد نجحت قرون الخلف
ولكن لم يشعر بها الجمهور فلما كثرت وكبرت كما بينا في النبذة الرابعة تنكر الناس في
سورية ومصر وخاضت في المسألة الجرائد العربية حتى في أمريكا وتباوت فيها
قرايح الشعراء وتجاوبت فيها الأصوات، حتى عمت البلاد والجهات، فاهتزت بذلك
العمرة العربية اهتزازا شديدا، وصبغها بعضهم بصبغة الدين فكان تأثيرها عظيما، ومن
المعاني التي نظمها الشعراء وخطب بها الخطباء ونشرت في الجرائد المصرية: ان الترك
جاروا على لغة القرآن وعدوها من النجاسات!! فانفطرت القلوب، وفاضت العيون،
وضج البيت والحرم، وكاد الركن يتحطم، وشكا القبر المعظم، وغضب الرب عز وجل...
(المارچ ١٢) (١١٦) (المجلد الثاني عشر)

فهل تظن حكومتنا العليا ، وأصحاب الجرائد التركية في عاصمتنا ، ان هذه الفارة الشعواء هين أمرها ، خفيف وزرها ، مأمونة عواقبها ، اذا أقي حبلها على غاربها ؟؟ كلا ان من عرف حقيقتها ، وتفكر في عواقبها ، يعلم ان الأمر إذاً ، والخطب جد ، وانه يجب اخذه برُبَّانته ، وتداركه في إبانته ، قبل ان يستقر في نفوس العامة ، وتنتع به الحاضرة والبادية

ان لهذا العاجز على ضعفه صوتا مسموعا في البلاد العربية ، وفي غيرها من البلاد الاسلامية ، وقد دافع بقدر طاقته ، عن الدستور والقائمين به ، حتى أزال كثيرا من شبهات المشتبهين ، ومكّن الثقة في نفوس الجماهير من المتزلزين ، وهو على ذلك وعلى حرصه على الاتحاد والاعتصام بين جميع العناصر العثمانية لم يستطع ان يقف في مجرى التيار الذي حركته تلك الاقوال والافعال التي أشرنا اليها في نفوس العرب كما وقف في مجرى التيار الذي حركه خلع عبد الحميد في بلاد الهند وفي غيرها من البلاد ، بل رأيت ان هذا التيار قد تدفق من (الدردنيل) فلا بد من السمي الى قطعه من هناك ، فكان أحد باعثن بعثاني على ترك عملي بمصر في مثل هذا الوقت ، وتيمحي عاصمة الملك كما سبق القول ، (وأما الباعث الآخر فسأبينه في مقال آخر انشره في بعض الصحف التركية ان شاء الله تعالى)

أحمد الله ان كانت هذه الحركة محصورة في دائرة الغيرة على اللغة العربية والمزاخمة في الوظائف والمناصب ، وصفوف المدارس والمكاتب ، وأنها لم تمتد الى مقام الخلافة ، ولا الى اساس الحكم والسلطة ، ولم يجبر على لسان متقد ولا خطيب ولا من قلم كاتب ولا شاعر دعوة الى الانفصال من الترك ، أو الاستقلال في الحكم ، ولهذا كان التدارك سهلا ، وحسن التفاهم ميسورا ،

ما رأيت خطأ بعيدا عن السياسة المثلى خارجا عن قواعد علم الاجتماع ، مثل خطأ رجال السياسة في الآستانة الذين يلغطون في الجرائد بذكر استقلال العرب والدولة العربية والخلافة العربية ، يهتمون العرب بطلب ذلك ويعدونه جهلا منهم لانه محال لتوقفه على المحال وهو اتفاق زعماء جزيرة العرب وشرقاتها من جهة وعلى مساعدة أوربا

من جهة أخرى ،وما كان خطأ الحكومة في الاصغاء الى الواشي والتحقيق في مسألة الشام في هذا العام الا كخطأ الجرائد أو أشد

ذلك بأن هذه الأقوال والأعمال هي التي تشغل الأفكار بما كانت خالية منه ، ويخشى ان توجه النفوس الى ما كانت غافلة عنه ، وتمدها لما لم تكن مستعدة له ، ألم تر أن علماء التربية يجرمون ذكر الألفاظ التي تدل على الرذائل وتثير كوامن الشهوات لتلا يدعوا التفكير فيها الى الأقدام عليها ، حتى ان بعض الأوربيين حذفوا من معاجم اللغة ولا سيما التي راجع فيها التلاميذ مثل لفظ الخيانة والسرقة كما اجمعوا على حذف ألفاظ الرّفث ، وعلى هذه القاعدة جرى عبد الحميد في منع الجرائد من كثير من الألفاظ التي توجه النفوس الى ما يراه مخالفا لسياسته ، ولا نجيز للحكومة الدستورية ان نحذو حذوه ولكن يجب عليها أن لا تكون هي المثيرة لتلك الأفكار الضارة كما يجب مثل ذلك على الجرائد من غير ان يمنعها منه القانون - فهذا هو مدرك قولي في النبذة الاولى من هذا المقال اني لم أذكر مسألة اقتراح شيخ لحج على امراء العرب في المنار ولا في غيره من الصحف «لا اعتقادي انه لا ضرر فيها وإنما الضرر في نشرها ، وخوض العامة بذكرها ، لما سأبينه بعد » وهذا بيانه :

ان عظمة الدولة العثمانية وعزتها وسائر ما يرجي لها في مستقبلها الدستوري يتوقف على العنصر العربي مالا يتوقف على عنصر آخر من العناصر التي نطلب اتحادها كلها حتي التركي منها فان البلاد العربية المحضة أوسع من البلاد التركية المحضة مساحة وأغزر ثروة وأحسن موقعا وأشرف بقعة من حيث هي مهبط الوحي ومثابة الأمم الاسلامية والنصرانية تهوي الى زيارتها من كل فج عميق . وأهلها أقدر على الزراعة والصناعة والتجارة فن تجارهم في الصين والهند وجاوة واستراليا وأمريكا من يملكون الملايين . وأما ذكاؤهم واستعدادهم للعلم فهو اشهر من ان يوصف . وأما القوة الحربية فيمكن للدولة ان تجند منهم مليوناً أو أكثر من أشجع خلق الله وأصبرهم على القتال ناهيك بفرسان العرب وخبيلهم اذا تدربوا على الفنون العسكرية الحديثة ، وهل تكون الدولة بأمن من مطاعم أوروبا في العراق اذا أصلحت أرض الجزيرة (بين

النهرين) الا بتجنيد أولئك الاسود الذين يهابهم الموت ولا يهابونه، ولا تحتاج الدولة الى نفقة كبيرة في تجهيزهم عند الحاجة؟

إن قوام الدول وعظمتها في هذا العصر على مقدار ثروتها، وانما ثروتها مستمدة من الأمة وان أرجى عناصر الأمة العثمانية ثروتها هو العنصر العربي وان ما بين النهرين (دجلة والفرات) من بلاده هو أخصب البقاع زربة وأوفرها غلة حتى قال هيرودتس شيخ المؤرخين انها كانت توثي غلاتها مضاعفة من مئة ضعف الى مئتي ضعف ثم كانت بعده هي ينبوع ثروة الدولة العباسية، ولا يكون اشتغالها وحفظها للدولة في هذا العصر الا بالعرب وان شاركهم غيرهم في اصلاحها وثمرتها

مركز الدولة في أوربا مخوف بالمشاكل والقلق، مضطرب بالمطامع والفتن، ومركزها في الاناضول عرضة للفتن أيضا فليس في ولاياتها اهدأ من الولايات العربية الحضرية كبيروت وفلسطين والشام وحب، واما ما كان يجري في الولايات التي تغلب عليها البداوة كالبن فسببه سوء الادارة وفساد السياسة التي كانت عليها الدولة الى آخر يوم من أيام الاستبداد ولما تصلح الحكومة الدستورية من ذلك الفساد شيئا بل لم تتق أسباب سوء التفاهم الذي تنشر أسبابه في ظل الحرية بسرعة البرق، فعليها ان تدبر وتعلم علم اليقين انه لم يجر الى هذا اليوم شيء من السعي ولا من التدبير لانفصال العرب من الترك ولم يمل الى ذلك أحد من المشتغلين بالسياسة العامة من العرب وانه لا يوجد سبب من الاسباب يوجههم الى هذا الاهضم اخوانهم في العاصمة لحقوقهم وأهمها التماهي عليهم بالجنسية التركية، والتقصير في حفظ لغتهم العربية،

سوء التفاهم محصور الآن في هذين الأمرين : تماهي التركي على العربي بجنسه وإيثار نفسه عليه بأعمال الدولة ومكاتبها، والتقصير في نشر اللغة العربية، فأما الاول فاتي أعذر الترك فيه من جهة وأعذل المتعصبين منهم على غيرهم من جهة اخرى : اعذرهم من حيث ان المتعلمين منهم قد جروا على اتخاذ اعمال الحكومة معاشا وموردا للرزق وهم قلة يحسنون عملا آخر كما جروا على حسابان ذلك حقاخالصا لهم من دون سائر العثمانيين الذين اذا نالوا منه شيئا فانما يكون من إيثار الترك لهم

على انفسهم درءا لمفسدة اوجلبا لمصلحة ، فان كان الدستور قد ساوى بينهم وبين سائر العناصر في كل شيء فلا نفسى ان تطبيق الدستور على الامة ، يجب أن تراعى فيه الحكمة ، ومنها أن يكون بالتدريج ولا سيما فيما يتعلق بتغيير العرف والمعاملات المتبعة والعادات المألوفة ومن هذا الباب نلوم الحكومة في بعض المعاملات المخالفة للعرف التي يمكن تطبيقها على القانون اذا أسرعت فيها قبل اعداد الامة لها . فاذا نحن طالبنا الحكومة أن تجعل اعمال الحكومة مشتركة بين العناصر العثمانية على نسبة عدد كل عنصر منها نكون قد طلبنا الطفرة في التغيير وقطعنا على متعلمي الترك اوسع ابواب الرزق التي ألفوا الدخول فيها ، وجعلناهم دون سائر الشعوب العثمانية بعد أن كانوا فوقها من هذه الجهة التي هي اشرف الجهات في نظرهم ، فهل من الحكمة أن يكون أول حظهم من الدستور خسران اعظم شيء عندهم ؟ كلا اني أرى جميع عقلاء العرب يفهمون هذا و يقدرونه قدره وإنما ينكره ويتألم منه من هم مثل الترك في قصر همهم على خدمة الحكومة واتخاذ ذلك وسيلة للمعيشة ، وهذه هي الجهة التي اعذل الحكومة على عدم مراعاتها وأطالبها بان تعدل في هؤلاء المتظلمين في سلكها والمرشحين انفسهم لذلك وان لا تشمر احدا منهم بان جنسه علة للتحامل عليه رقبا بهم واقناعا لهم ولغيرهم بأنها تنفذ الدستور بالعدل والمساواة بقدر الاستطاعة وتقاديا من سوء التفاهم في هذا الدور الخطر - دور التحول والاقبال

وليعلم الفريقان ان الحكومة الدستورية لا تكون موردا واسعا للرزق ولا ينبغي ان تطالب وظائفها لأجل المعيشة لان المرتبات الكبيرة فيها قليلة جدا ، وما عداها لا يكاد يصل الى درجة الكفاف ولا سيما مع نفقات الاسفار في هذه المملكة البعيدة الارحاء اذا بطلت الرشوة كما هو المنتظر من الاصلاح في عهد الدستور وانما كانت الحكومة بابا من ابواب الثروة ايام كان الحاكم مستبدا بها مستبيحا للجميع ما تصل اليه يده من اموال الامة لا يخاف في ذلك دَرَكًا ولا يخشى . واتي لاشفق على اخواننا من الترك وأخشى ان يكونوا في عهد الدستور وراء الروم والارمن المزاحمين لهم في عقر دارهم وفي عاصمة الملك اذا لم ينزعوا من اذهان نابتهم فكرة الارتزاق من الحكومة . وقد كان المتعلمون من المصريين على رأي المتعلمين من الترك في ايام

الاستبداد المحض والظلم ، وفي أوائل العهد بالحرية والعدل ، ثم لما عمرت البلاد صرنا نرى بعض عمال الحكومة الذين يأخذون في كل شهر عدة الوف من القروش راتباً معيناً لا يتخلف قبضه عن اليوم الأول من الشهر يستقبلون راغبين عن خدمة الحكومة إلى الأعمال الحرة التي هي أوفر كسباً وأوسع باباً لتحصيل الثروة ، ونرى الذي يتقاضى من الحكومة في كل شهر ثمانية آلاف وعشرة آلاف قرش يهتفون بها إذا لم يكن له مورد آخر من الزراعة مثلاً

وأما التقصير في نشر اللغة العربية فلا أرى للحكومة فيه عذراً مقبولاً فإن قيل إن اللغة التركية هي اللغة الرسمية فما عداها من اللغات يجب فيه المساواة فأدركت الحكومة اللغة العربية على غيرها قام سائر العناصر يطالبونها بمساواة لغتهم لها ويعدونها مقصرة معهم غير عادلة فيهم ! فالجواب عنه يعلم مما أشرنا إلى بعضه قبل من مزايا العربية وخصائصها التي يمكن للحكومة أن تحتج بها على أي عنصر يطلب مساواة لغته بها في المكاتب الرسمية ونزيده أيضاً بالتفصيل بخمسة أمور :

(١) إن العربية هي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وهما أصل الدين الإسلامي الذي هو الدين الرسمي للمملكة الذي يجب على خليفة المسلمين أن ينشره ويحميه

(٢) إن السواد الأعظم من أهل المملكة مسلمون يحتاجون إلى العربية في فهم دينهم وطاعة ربهم فيما حث عليه من تدبر القرآن وليس لهم جمعيات دينية تنشئ لهم المدارس كالنصارى فالحكومة الوارثة لهم هي المطالبة بتعليمهم (٣) إن الشريعة الإسلامية هي ينبوع الذي تستمد منه الأحكام التي يحكم بها في الأحوال الشخصية والمدنية وتطبق عليها القوانين ومعظم كتبها التي عليها الاعتماد في ذلك والتي يرجع إليها عند المشكلات هي باللغة العربية فالدولة محتاجة في ذلك إلى تعليم هذه اللغة

(٤) إن العنصر العثماني العربي هو أكبر العناصر وابعدها عن معرفة اللغة الرسمية للدولة ولا يتيسر تعميم هذه اللغة فيهم إلا بعد اتساع مالية الدولة بهشرات من السنين . فإذا لم تعلم الحكومة اللغة العربية لمن تعدهم في مكاتبها للوظائف كان

(المناج ١٢م ١٢) العرب والترك . زبدة المقال وخاتمته ٩٢٧

نتيجة ذلك ان أكثر عمال الدولة في اوسع ولاياتها لا يعرفون لغة الاهالي فيتعذر عليهم اقامة العدل والنظام . ولا يقال انهم يستعينون على ذلك بالترجمين لانها لا تجد الذين يحسنون الترجمة في كل مكان وان وجدتهم كانت في حاجة الى نفقات كثيرة لهم لا تحتاج الى أكثر منها لتعليم العربية ولا مندوحة عن أحدهذين الامرين الا ببقاء الحكومة كما كانت في شرايام الاستبداد جمعيات نهب وسلب لا يهتمها الا ملء الجيوب ، واما الروم والارمن وغيرهما من العناصر فاللغة الرسمية منتشرة بينهم لا تحتاج الحكومة الى المترجمين الا في القليل من بلادهم وما ذلك بالامر الشاق ولا المتوقف على النفقات الكثيرة

(٥) ان اللغة العربية اصل من أصول اللغة التركية الرسمية يقرب أن يكون ثلث مفرداتها أو نصفها مستمدا منها ولا سيما المفردات في علوم الطب والشرح والنبات والحيوان ، فتعليم العربية في مكاتب الدولة يقوي تعليم اللغة الرسمية ويمدها فالتركية أحوج الى العربية من اللغة الفرنسية الى اللغة اللاتينية واننا نرى الافرنج يعلمون اللغة اللاتينية التي لا يوجد عندهم شعب يتكلم بها لانها من اصول لغاتهم فاعراض الترك عن تعليم العربية على كونهم أحوج اليها من هذه الجهة وعلى ما لهم فيها من الفوائد الدينية والمدنية لا يظهر تعليله الا بتعمد اضعاف العربية وهذا شيء لا يرضى به جمهورهم وان نزع اليه بعض المتفرنجين المتعصين ، الذين ليس لهم رأي ولا دين

٦

زبدة المقال وخاتمته

(١) إن الجواذب التي تجذب الترك الى العرب والعرب الى الترك وتمزج احدهما بالآخر فيكونان عنصرا واحدا قويا نافعا كالماء والهواء في كونه علة للحياة والبقاء هي قوية جدا لانها جامعة بين الاخوة الدينية والمصالح المدنية والسياسية التي لا قوام للدولة بدونها

(٢) ان الحوادث السابقة واللاحقة أعدت المشتغلين بالسياسة والبحث في

٩٢٨ العرب والترك . مابه يكون التأليف بين العنصرين (المنازع ١٢م ١٢)

الامور العامة والمنازحين في المكاتب والمناصب الى شيء من سوء الفهم والارتباب والظنة قواها في نفوس بعض الترك شبهات أوهمتهم ان العرب يريدون الانفصال من الدولة العثمانية والاستقلال بأنفسهم ، وقواها في نفوس بعض العرب أقوال منكرة قلها وكتبها بعض المشهورين من الترك وأعمال مستنكرة من الحكومة لا يصح ان تعد أصلا راسخا في الدولة لأنها حدثت في عهد الانقلاب والفتن التي اضطرت الدولة الى الاحكام العرفية مع تبدل الوزارات وعدم انتظام الاحزاب في مجلس المبعوثين الذي يرجع اليه الامر كله

(٣) انه يمكن ان تهض حجة قيمة علي التباغض بين الترك والعرب اذا وقع الشقاق بين المبعوثين في مسألة تعليم اللغة العربية أو مسألة المساواة بين العنصرين المحتمة في القانون الاساسي ولكن هذا الشقاق ما وقع ولن يقع ان شاء الله تعالى . وقد حضرت مذاكرة بين فاضلين من المبعوثين أحدهما عربي والآخر تركي فقال هذا اني أحب العرب أكثر من الترك لان الذي يجب الي الترك هو النزعة الجنسية الدنيوية وأما الذي يجب الي العرب فهو ديني الذي عليه مدار سعادتني الأبدية ، - أو ما هذا مؤداه

(٤) ان الذين قد بدت البغضاء من أفواههم للعرب في معاهد السياسة والحكومة ومكاتب التعليم هم على قلتهم ليسوا من العنصر التركي باليقين وإنما أكثرهم أوشاب وأوزاع من عناصر شتى قد تركوا وأسلموا من زمن بعيد أو قريب لأجل مناصب الدولة فهم لاحظ لهم من الحياة الا فيها فلا عجب اذا أبغضوا كل من يزاحمهم عليها (٥) يجب على العقلاء السعي في إزالة سوء التفاهم وسد منافذه مهما كان سببه لئلا يتمكن في نفوس العامة فيتعذر نزعه وتسوء مغبته .

مابه يكون التأليف بين العنصرين

يجب أن يتعاون على هذا التأليف الذي تتوقف عليه حياة الدولة كل من عقلاء الامة وعقلاء الحكومة ويجب ان تكون العاصمة هي البادئة بذلك صحافتها وحكومتها العليا فأما الصحافة فيجب عليها أن تترك الخوض في مسألة الجنسية النسبية واللغوية،

الى الجنسية السياسية المعبر عنها بالعثمانية، فتجعل هذه هجبرها بكرة وعشياً ونجمل تلك نسياً منسياً، ولا تذكر لفظ الترك والعرب، ولا اسم غيرهما من العناصر الاخر، بكلمة تشعر بالترجيح أو التفضيل، أو عصبية النصر والقبيل، ولعمري ان أولئك الرجال الذين تبدلوا كلمة العثمانية « بكلمة تركية » فصاروا يقولون ويكتبون « لغة عثمانية ولايات عثمانية »، لهم اعلى في السياسة رأياً، وأصح في علم الاجتماع حكماً، من هؤلاء الذين يقرعون الاسماع كل يوم بكلمة « ترك تركر » (١) متوهمين انه يمكن تحويل العناصر العثمانية الى التركية، أو انهم يمكن ان يتحدوا بشعوب التتار الروسية وتركستان الصينية، ومن الذين يريدون ازالة الالفاظ العربية، من هذه اللغة الرسمية، قال كمال بك زعيم النهضة الحديثة : اننا اخترنا أحسن الكلم من أرقى اللغات الشرقية، وهي العربية والفارسية والتركية، فألفنا منها لغتنا العثمانية، فهذه اللغة هي لغة العثمانيين المشتركة، ليس للترك حق الاختصاص بها والاثرة، كما ان العربية هي اللغة الاسلامية المشتركة بين العرب وبين الترك والفرس وأهل الهند والصين والملاو وغيرهم من المسلمين، فنحن العثمانيين لانسمح لاحد ان يعبث بلغتنا العثمانية، ومن شاء ان يتعلم لغة تركستان فليتعلمها وهي غير لغتنا الرسمية، والأمة كلها تطالب بمبعوثها بصيانتها وحفظها لسهولة نشرها وكون أكثر كتبنا ودفاترنا بها.

ومما يجب التنبيه عليه في هذا المقام اثناء عزو ذنب بعض الافراد الى الشعب أو النصر على الاطلاق فاذا رأينا بعض الترك أو العرب أو الارمن - مثلاً - يعيب عنصراً آخر أو يدعو الى استقلال قومه فعلى الجرائد أن تنسب الذنب اليه لا الى جميع قومه. وعلى هذه الطريقة جرينا في مقالنا هذا فقد برأنا النصر التركي الاسلامي من بغض العرب والتحامل عليهم وحصرنا ذلك في فئة من الترك المشتركين في الغالب لا الخالص.

كذلك يجب على الجرائد ان تتخول قراءها بالمقالات الداعية الى اتحاد العناصر العثمانية مع بيان فوائدها للجميع. واذا اهدت جرائد الآستانة الى هذا الصراط

(١) كتب بعضهم في هذه الايام مقالة في جريدة صباح بهذا العنوان يحرك بها النمرة الجنسية

المستقيم تبعها الجرائد السورية والمصرية وكان تأثير ذلك عظيماً واحكم على العكس بحكم الطرده وينبغي لأصحاب الجرائد التركية ان يُعْمِنُوا بالاطلاع على الجرائد العربية المنشرة ويترجموا المهم من مقالاتها في سياسة الدولة العلية وادارتها ويعلقون عليها ما يرون فيه المصلحة للتأليف وكذلك المهم من أخبارها فمن العار على جرائد العاصمة ان لا يذكروا فيها شيء عن الولايات العربية، الا ما يكون من ضيابه الشركات البرقية، أو الاخبار الرسمية، وكل من هذا وذاك رموز لا نعرف حقائق الاحوال، ولا تبني على مثلها الاحكام، ولو قامت هذه الجرائد بوظيفتها حق القيام لجعلت لها مراسلين في تلك الولايات فوق تتبع الجرائد العربية وترجمة أخبارها

وأما ما يجب على الحكومة فأهونه وأقر به أن تنصف الواقفين على أبوابها من العرب طلاب الوظائف - وقليل ما هم - فتساوي بينهم وبين اخوانهم الكثيرين من الترك وترقي بعضهم من رتبة القائمقام الى رتبة المتصرف ومن هذه الى رتبة الولاية، وأن تزيد أعضائهم في مجلس الاعيان . وأهمه وأعظمه ينحصر في امور :

(أحدها) قطع عروق المصيبة الجنسية من مكاتب الحكومة واستئصال جذورها فاني اسمع كل يوم من أخبار هذه المكاتب ما يشعر بأن فيها كياوين معنوين يخللون عناصر الوحدة العثمانية ويفرقون بعضها من بعض حتى بلغ ببعض المعلمين الجهل أو سوء التقصد أن قال بعضهم في الدرس ان العرب كانوا يجهلون علم الفلك وان الترك هم الذين علمهم ذلك وهم الذين بنوا لهم المراصد! وقال بعضهم انهم كانوا يجهلون فن الإحصاء حتى علمهم الترك إياه في زمن المأمون! وقال بعضهم انهم كانوا يجهلون الفلسفة وجل ما كتب بالعربية في الفلسفة فهو من الترك! افصار بعض الطلاب من العرب يترجمون على فيلسوفهم المعري ويتناشدون لاميته المشهورة: بل سمعت عن معلمي بعض المكاتب ما هو شر من ذلك وأضر وأدهى وأمر، فيجب على نظارة المعارف أن تختار لمكاتبها من المقتشين المنصفين المهذبن من يكشف لها الحقيقة في ذلك وان تعنى أشد العناية بتطهير معاهد العلم من هذه المفسدة التي لأرى شيئاً أضر على الدولة منها

انه يسهل تقرير كل حقيقة فيها فضيلة لفرد أو أفراد من عنصر من العناصر

مع تحامي اهانة غيره لا سيما اذا كانت تلك العناصر قد وحدث بينها جنسية أخرى أوسع من جنسية النسب واللغة كما جمع الاسلام العرب والفرس والترك وغيرهم فجعلهم امة واحدة . فهل جهل أولئك المعلمون المفرقون المحللون انهم يمجنون بتلك النزعات على دولتهم المؤلفة من عدة اجناس اكبرها وأعظمها عنصرا العرب والترك فاذا هما انحلا تنحل والعياذ بالله ، ويمجنون أيضا على ملتهم الاسلامية ، أم هم يرمون الى ذلك ؟ ؟ وكذلك يجب أن تتيقظ سائر النظارات لمثل ذلك قهلا يخلو شيء منها من افراد متمصين الا باب المشيخة الاسلامية

(ثانيا) العناية بتعليم اللغة العربية في مكاتبها وفي المدارس الدينية في العاصمة وغيرها فان هذا برضي العرب عامة ويسر جميع المسلمين ولا يضر الترك ولا يضعف جنسيتهم كما انه لم يضر الفرس ولم يضعف جنسيتهم وهم اكثر عناية من الترك بهذه اللغة من حيث انها لغة الدين وليسوا بحاجة اليها لاجل الادارة والسياسة اذ ليس في مملكتهم ولايات عربية .

ألا ان من الحال في هذا العصر تحويل عنصر الى عنصر أصغر منه أو اكبر فالخريص على جنسيته النفسية او اللغوية في هذه الامة العثمانية يجب أن يكون امينا مطمئنا عليها والطامع من الترك في تحويل أضعف عنصر من العثمانيين الى العنصر التركي وادغامه فيه انما هو طامع في الحال ، والمتوسل الى مطعمه بتعظيم قومه وتحقير غيرهم ، والتعصب لهم على سواهم ، انما يطلب الشيء من ضده أو من تقيضه ، ولولا ان كلا من امنا ودولتنا لا يقوى على مثل هذه التجارب الاجتماعية لما كنت شديد الخوف من هذه النزعة الجنسية فيها فان من يكون له ولد عزيز هو محل رجائه في ارث مجده وماله لا يسمح باختياره أن نجرب في جسمه الادوية التي تبجل عاقبتها ، بله الادوية التي ترجح خطرها ، وسوف يعلم المجربون انهم هم الخاسرون ، اذا ظلوا في طريقهم يهرعون ، وأخشى أن لا يظهر خطأهم الا حيث يعز تلافيه وتداركه

(ثالثا) العناية بنشر العلوم والمعارف واسباب العمران في الولايات العربية كغيرها من الولايات من غير أدنى فرق يمكن أن يفسر بالتعصب الجنسي وأرى

أن تكثر الدولة من المدارس الصناعية والزراعية وتكتفي من المدارس التي تخرج فيها عمال الحكومة بقدر الحاجة

(رابعها) الاخلاص التام في تنفيذ القانون الاساسي . والقيام بهذا يجمع كل مايراد من اعطاء كل عنصر حقه فان لم تفعل الحكومة هذا فاتها تهيج عصبية جميع العناصر عليها حتي العرب الذين هم أشد ارتباطا بالترك واخلاصا لهم ممن سواهم وذلك هو البلاء المبين

قد استخف الدستور اهل البلاد العربية فقاموا يطرون الترك ويمخون الناس على تعظيم شأنهم والاتحاد بهم وتهاقوا على جمعية الاتحاد والترقي في كل مكان حتى ان اهل لبنان أخذوا يتحدثون بالسعي الى الفاء امتيازهم بل كتب أدباؤهم كثيرا من المقالات في وجوب اتحادهم بسائر العثمانيين ، ومشاركتهم في مجلس المبعوثين ، على ان بعض الاتحاديين قد شوهوا بعض تلك الاحتفالات بعيد الدستور اذ نقشوا فيها بشيء من سموم التعصب كذلك الضابط الذي خطب في حلب خطبة حرق بها العرب تحقيرا ، وشهر بهم تشديرا ، ولكن أكثر الناس لم يفهموا حق الفهم ، ولو أقامها في بيروت او الشام لكان مالا خيرا فيه

ظهرت أريحية العرب بسورية ومصر وغيرتهم في مقاطعة النمسا في تجارتها وفي الاحتفالات بالدستور وقد ألفنا بمصر لجنة لاجل جمع الاعانات الكبيرة للاسطول العثماني وضمت لذلك قانونا ليكون جمع المال عاما ولكن تلك النيات التعصبية التي سمعت من دار السلطنة أضعفت الهمم . فاذا طال المهدي على هذا التنافر فان خسارته المالية والمعنوية تكون اول بوادر شوئمه ونعوذ بالله من أواخره

ويسرنني أن أبشر العرب باتي وأيت من كبراء العاصمة ارتياحا الى حسن التفاهم وإزالة اسباب التنافر ولا سيما من الصدر الاعظم حسين حلمي باشا والعلماء الاعلام فأنصح لهم أن يكونوا عوناً لآخوانهم على هذا الزمان كما نصحت للآخرين ه إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

اسباب سقوط الدولة الاموية*)

سادتي

وعدتكم يوم الخطبة الغراء التي خطبها فينا الاستاذ الخضري في ترجمة أبي مسلم الخراساني أن أقول كلمة ألم فيها بشيء من الاسباب التي دعت الى ضعف الدولة الاموية وتسريع قيام الدعوة العباسية وانتشارها في المملكة الاموية بواسطة أبي مسلم وأضرابه من رجال الدعوة ثم نجاحهم في الامر وقلبهم الدولة الاموية وثقل عرشها وقيام الدولة العباسية مقامها

ولما هممت بتتبع التاريخ من اجل هذه الغاية عذرت الاستاذ الخضري لا كفايته بايراد سيرة أبي مسلم وما كان من انتشار الدعوة العباسية لانه لو أراد أن يطرق هذا البحث ويتبسط في مناحيه لاحتاج الى الوقوف أمامكم ساعات وانا بعده كذلك ومع هذا فلا نكون وفينا هذا البحث حقه من البيان لذا ألتبس من حضراتكم المهدرة فيما سأتلوه عليكم مختصرا في هذا الباب ولو اضمت وقتا ما في تمهيد الكلام يبحث في الخلافة لارتباط هذا البحث بسقوط بني امية وقيام دولة العباسيين

تمهيد

تعلمون ايها السادة أن السلف اختلفوا في : هل الخلافة واجبة شرعا او عقلا ؟ والذين قالوا انها واجبة عقلا قالوا انها وجبت بالعقل لما في طباع العقلاء من التسليم لزعمهم من الظالم و يفصل بينهم في التنازع والتخاصم الى آخر ما قالوه وتعلمون ان ما وجب بالعقل وجب تحكيم العقل فيه ولما كان تعريف الخلافة

*) خطبة لرفيق بك العظيم المؤرخ المشهور القاهرة على اعضاء نادي دار العلوم بمصر

٩٣٤ أسباب سقوط الدولة الاموية (الملتوج ١٢م ١٢)

انها حمل الكافة على الشرع وانما تحمل الكافة على الشرع بمن تتوفر فيه شروط اللياقة لتولي امور الامة ايا كان من المسلمين فقد ترك الشارع صلى الله عليه وسلم أمر الخلافة لرأي الامة تحيكم فيه ضمايرها وعقولها دون أن ينص على شخص بعينه

ومما يدلنا على أنه ليس هناك نص ديني من قبل الشارع على تخصيص الخلافة بعلي او العباس وآلهما أو غيرهم من المسلمين ان أبا بكر لما احتج على الانصار يوم النقيفة لم يحتج عليهم بخبر عن الرسول بل بالكفاءة والاستحقاق ورضا الامة فيمن تختاره اميرا عليها حيث قال :

« يا معشر الانصار : انكم لا تذكرون فضلا الا وانتم له اهل وان العرب لا تعرف هذا الامر الا قريش . هم اوسط العرب دارا ونسبا . قد رضيت لكم احد هذين الرجلين » واخذ بيدي عمر بن الخطاب وابي عبيدة بن الجراح . فكثر اللفظ بين الانصار حتى بادر عمر بن الخطاب وقال : ابسط يدك ابايعك . فبسط يده فسبقه بشير بن سعد من الانصار فبايعه وبايعه سائر الناس

ولو كان هناك نص على علي لما فات ابا بكر وسائر الناس ولما قال الانصار منا امير ومنكم امير وهم اول من نصر رسول الله في حياته فلا يهدلون عما امر به بعد وفاته وعلي نفسه اعترف بصحة خلافة ابي بكر ولم ينازعه عليها باسم الدين اذ خطب مرة فقال :

« لقد امر النبي ابا بكر أن يصلي بالناس وإنني شاهد وما أنا بغائب وما بي مرض فريضنا لدينا ما رضي به النبي لدينا »

توفي ابو بكر فولي الخلافة بعده منه عمر بن الخطاب ثم توفي عمر فصرفت الشورى الى عثمان وعلي معروف المكانة من الدين والقراة من رسول الله فلم يقل فريق منهم بصرفها اليه باسم الدين وكل ما قبل وكتب بعد ذلك من المغامز التي غمرت بها الشورى أو غمرت بها ولاية ابي بكر وعمر ليست بصحيحة وما جاء من اخبار الخلاف على الخلافة بين الصحابة لا يحمل على غير ما يقع عادة من النزاع بين المتنافسين على الامارة في كل امة وجيل لكن صورته الامامية بعد

(المنار ج ١٢ م ١٢) أسباب سقوط الدولة الاموية ٩٣٥

بالصورة التي توافق مذاهبهم السياسية والدينية حتى تمكنوا من صبغه بصبغة الدين واتقول بوجود الامامة شرعا لعل وآله وسوقها بعد ذلك في بنيه أو بني عمه العباس باسم الدين

علمتم أيها السادة من هذه المقدمة ان الخلافة صارت الى ابي بكر ثم الى عمر ثم الى عثمان رضي الله عنهم ولم يبق بين العرب من أجلها أدنى نزاع باسم الدين بل كان العقل هو المحكم والمصلحة رائد جمهور العقلاء من الامة بقطع النظر عما اذا كان علي (رض) حقيقا بالخلافة فانه حقيق بها بلا شك ولا ريب وانما كانت هناك ظروف وأحوال اذا وصل اليها خبر بعضها فاننا نجعل بعضها الآخر بتاتا وقد راعى جمهور الصحابة تلك الظروف والاحوال مما شاة لسة الطبيعة والعقل فقدموا عليه الثلاثة الكرام ولو كان للدين حكم باستخلاف علي لما عدلوا عنه الى العقل ومكاتتهم من الدين سامية شهد لهم بها القرآن الكريم والنبي العظيم

إذا فن أين دخلت السياسة في الدين فجعلت الخلافة حقا شرعيا من حقوق آل البيت ؟ ومتي ظهر النزاع عليها باسم الدين وظهرت مقالة الامامية التي تلها بدع كانت آفة المجتمع الاسلامي ومنها مسألة المهدوية التي عانى ويعاني المسلمون مضضا الى اليوم ؟ .. الجواب عن هذا يعرفه كل مطلع على التاريخ وكلهم مطلع عليه : دخلت السياسة في الدين وظهرت مقالة الامامية لما دخل الاعاجم في الاسلام وظهر هذا الدين وأهله على الامم وذلك بعد مضي صدر من خلافة عثمان

وأول من قام بهذه الدعوة عبد الله بن سبأ واخوانه من الموالي وأبناء الملل الاخرى الذين دخلوا في الاسلام، وابن سبأ هذا هو من الذين أحرقهم علي (رض) لغلوهم فيه

تلك البذرة الصغيرة التي بذرها ابن سبأ واخوانه من جمعية الدعوة العلوية انبتت ذلك النبات العظيم الذي قوي فيما بعد على ما حوله فأكل دولة الامويين في المشرق أكلا بعد أن دخلها الضمف من جهات أخرى وهذا موضوع البحث وهأنذا متكلم فيه

٩٣٦ أسباب سقوط الدولة الاموية (المارح ١٢ م ١٢)

الموضوع

تولى عثمان (رض) الخلافة بانتخاب أهل الشورى وعمل فيها ست سنين لا ينقم المسلمون منه شيئاً وانما اضطرب أمره في السنين الست التالية من خلافته حيث اتسعت دائرة الفتح وكثر الموالي اللاجئون الى المدينة من الاطراف ودخل في الاسلام أو تحت سلطته أقوام لم يكن لهم ماله العرب يومئذ من العصية والقوة والاخلاق الحرية العالية فحفصوا لجيوش العرب طوعاً أو كرها وكان استغراقهم في الحضارة جعل فارقاً عظيماً بينهم وبين العرب الذين كانوا على جانب عظيم من سلامة الفطرة والاخلاق الثابتة المستقيمة فكان ذلك من الوسائل التي جعلت أولئك الاقوام يأتون العرب من جهة العقائد تارة والسياسة أخرى فآلقوا بينهم أول بذرة من بذار التفريق في الدين والسياسة بواسطة الدعاة منهم كهبدالله بن سبأ المذكور وحران بن سودان والاول لم يترك مصرأ من الامصار الكبيرة كالشام ومصر والبصرة والمدينة الادخله لاجل بث الدعوة وزرع هذه البذار الجديدة في النفوس

والارض البكر الصالحة سريعة الإنبات بالضرورة ولا سيما إن العرب محبون بطبعهم للحزب ميلا مع العصبية التي كانت تتنازعهم في عصر الجاهلية فقبلوا الدعوة الى نصرة علي وانه أحق بالخلافة ديناً بشيء من القبول وأخذت تتمكن من نفوس بعضهم هذه المقالة الجديدة حتى أفقت الى اتسامهم الى حزبين ينتصر أحدهما لعللي والآخر لعثمان

قامت الفتنة من ثم على الوجه الذي عرفناه في التاريخ وانتهت بقتل عثمان (رض) وقيام علي ومعاوية يتنازعان امارة المؤمنين واتقسم يومئذ هذان الحزبان الى أحزاب أخرى سياسية ودينية كانت الغلبة فيها للقسم الذي شايع معاوية باسم القوة والعصبية لا باسم الدين والشريعة لان الشريعة نفسها تحتاج في تنفيذها واستمرارها الى القوة كما تعلمون

لما تطاحن العرب من أجل النزاع على الخلافة بتلك الروح الدينية التي بثها بينهم دعاة الفتنة ورأى فريق منهم ان عاقبة هذه الحرب الآكلة ربما أتت على

(المآرج ١٢ م ١٢) اسباب سقوط الدولة الأموية ٩٣٧

العرب ودينهم وملكهم من أجل الامارة أجمعوا رأيهم على الخروج عن جماعة المتقاتلين وألفوا لأنفسهم حزبا سياسيا برآسة عبدالله بن وهب الراسبي غايته نفس الخلافة وطلابها من قریش نسفا وان يقام الامام من غير قریش على شرط أن يحكم برأيهم وعلى مايشيرون به أو ينتهجون له من طرائق العدل والا عزل ونصب غيره والا فلا لزوم لامام أصلا . ومعناه أن تكون الحكومة جمهورية بالضرورة واليكم مآقاله عن هذا الحزب صاحب الملل والنحل قال :

« انهم جوزوا أن تكون الامارة في غير قریش وكل من نصبونه برأيهم وعاشر الناس على مامثلوا له من العدل واجتتاب الجور كان اماما ومن خرج عليه يجب نصب قتال معه وإن غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله وهم أشد الناس قولا بالقياس وجوزوا أن لا يكون في العالم إمام أصلا وان احتيج اليه فيجوز أن يكون عبداً أو حراً أو نبطيا أو قرشيا »

هذا رأيهم الذي أورده صاحب الملل والنحل ومنه تعلمون أن مبادئهم جمهوري بحت لاسيما في التشريع يظهر لنا ذلك كل الظهور من قوله : من نصبونه برأيهم وعاشر الناس على مامثلوا له أي على ماسنوا وشرعوا له بالضرورة . وقوله : وكانوا أشد الناس قولا بالقياس . وكلكم يعلم ما هو القياس بالنسبة لمن يريد التوسم في الاحكام بما يدور مع الزمان والحاجة . ولذا فقد جاز لنا أن نسي هذا الحزب أول حزب جمهوري في مبادئه ومراميه ظهر في الاسلام . ولولم يجعل باستعمال السلاح لتأييد مبادئه وحمل الامة عليها بالقوة وانتظروا ثماتسأم جماعة معاوية الحرب القائمة من أجل الخلافة كما ستمتها جماعة علي وكانت مبادئه هي السائدة الى ماشاء الله في الامة الامة ولا تقطع النزاع على الخلافة منذ ذلك الحين

ولكن من الاسف أن ذلك الحزب لما عجل باستعمال القوة بعدموثنهم الذي عقدوه في حروراء خارج الكوفة ودعوا من أجله بالحرورية اضطر أمير المؤمنين عليّ قتالهم وقتلهم في النهروان وكانوا نحو عشرة آلاف قتلهم جميعا الا عشرة منهم أفلتوا من القتل وتفرقوا في البلاد وأخذوا يثبون دعوتهم سرا فكان من ذلك ماذا؟

(المآرج ١٢) (١١٨) (المآلد الثاني عشر)

٩٣٨ اسباب سقوط الدولة الاموية (المنار ج ١٢ م ١٢)

كان من ذلك ان اقبلوا الى جمعية سرية اقرت على الفتك بعلي ومعاوية وعمر بن العاص قائلة فلنرح البلاد منهم كما ذكر ذلك المؤرخون لتبقى امارة المؤمنين شاعرة للأمة من المتنازعين عليها من قرش ونختر الامة اميرا عليها من شاءت من عامة المسلمين أو خاصتهم كما هو من مقتضى مبادئهم التي مر ذكرها

انتدب لهذا الغرض ثلاثة منهم هم عبد الرحمن بن ملجم المرادي للفتك بعلي، وعمر بن بكر التميمي لعمر بن العاص، والبرك بن عبد الله الصريمي لمعاوية. واتحدوا لسبع عشرة من رمضان قتل ابن ملجم عليا ولم يتمكن الاثنان الاخران من معاوية وعمر كما هو معروف في التاريخ

وكانت هذه الجمعية السرية ثانية جمعية تألفت في الاسلام بعد الجمعية السبئية التي تأسست في خلافة عثمان الدعوة الى علي كما تقدم في صدر البحث ومبادئها متباينة بل متضادة كما تعلمون

بعد ذلك استصفي معاوية الخلافة لنفسه وأدأها عن آل علي باستئزال الحسن (رض) عنها وان يترك منازعته عليها فقم له الامر بهذا وجمع كلمة العرب عليه واستألم اليه فكانت له منهم عصبية كبيرة احتسب عنها بها وضرب ضعيفا بقويها وقبض على زمام الخلافة بيد من حديد وحماها بلسان من سكر واستمال بدهائه بني هاشم والمهاجرين وابناء المهاجرين وجلة الصحابة تارة بالترغيب وتارة بالترهيب حتى ملك السنتهم وقلوبهم فانفرط عقد الناس الا عن بني أمية واجتمعت كلمتهم على تأييد هذه الدولة ايما تأييد

لكن هل زالت تلك الروح التي بثها دعاة الامامية من الوجود؟ وهل امكن لمعاوية ومن خلفه أن يقتلوا ذلك الفرس الذي غرسه خصومهم بالامس؟

كلا ان تلك الروح باقية وذلك الفرس كان ينمو ليشمر ويأكل منه غارسوه من غير العرب ولو بعد قرن وما القرن من أعمال الدول والامم الا كيوم مما تعدون

اغتصب الامويون الخلافة اغتصابا والغاصب خائف كما يقولون وهم اذا تدرعوا بالقوة والعصبية فخصومهم من بني هاشم متدرعون بالدين والمكانة الادبية التي لهم بين المسلمين والعواطف الدينية اذا تكونت ونمت واندفعت بأهلها تدك العروش

وتزلزل قوات الدول فاضطر الامويون بعد معاوية الى مطاردة بني هاشم والتكر
لم وفعل يزيد فعلته الشقاء بأبناء فاطمة فكان ذلك داعيا الى حذر بني هاشم وسكوتهم
الى حين وتستر شيعتهم وعلمهم في الخفاء الى أن قامت دولة بني مروان وآلت الخلافة
الى عبد الملك فتولاها والقتة مستعرة في الاطراف: فالطوارج يريدون نحو الخلافة،
وشيعه المختار بن أبي عبيد القفي يطالبون بدم الحسين، وعبد الله بن الزبير ينازع
الامويين على الخلافة، وعمر بن سعيد الأشدق يريد ما لنفسه، فإذا يصنع خليفة
يستقبل مثل هذه العواطف؟ وبماذا تعيش دولة قامت في بحر من الدم؟

لا جرم انها تلجأ الى أقصى ما عندها من القوة وتستعمل متهى القسوة، والقسوة
تملاً الصدور حفيظة وتلجى الخصم الى استعمال أساليب الخذل والتخيل على أخذ
الخصم على غرة منه

ذلك مادعا عبد الملك الى استعمال متهى القسوة في اخضاع هذه الفتن وألجأ
اخلافه الا قليلا منهم الى اتباع منهجه في معاملة الخارجين عليهم واستعمال مثل
الحجاج بن يوسف في الامصار الثابتة وإشتداد هؤلاء العمال على الناس حتى كان
ذلك من جملة الاسباب التي أوغرت على الامويين الصدور ومهدت للدعوة الهاشمية
سبيل الانتشار في الخفاء وعجلت على دولة بني أمية بالدمار

بلغ من قسوة عبد الملك وإظهاره الشدة في تهديد من يناوئه ان خطب بعد قتل
الزبير عام خمس وسبعين خطبة قال فيها:

«أما بعد فليست الخليفة المستضعف (بني عثمان) ولا الخليفة المداخن (بني
معاوية) ولا الخليفة المأفون (بني يزيد) الا وإن من كان قبلي من الخلفاء كانوا
ياكلون ويطعمون من هذه الاموال. الا واني لا ادوي ادواء هذه الأمة الا بالسيف
حتى تستقيم لي قناتكم. تكفرونا أعمال المهاجرين ولا تعملون مثل أعمالهم فلن تردادوا
الا عقوبة حتى يحكم السيف بيننا وبينكم. هذا عمرو بن سعيد قرأته وموضعه
موضعه قال برأسه هكذا قتلنا بأسيا فاما هكذا ألا وإننا نحمل منكم كل شيء الا وثوبا
على أمير أو نصب راية. الا وإن الجامعة (أي القيد) التي جعلتها في عنق عمرو بن سعيد

٩٤٠ أسباب سقوط الدولة الاموية (المارح ١٢م ١٢)

عندي والله لا يفعل أحد فعله الا جعلتها في عتقه، والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا الا ضربت عتقه ١١١ » ثم نزل

ثم ان السيوطي أوهن سند هذه الخطبة بقوله : في اسنادها الكريمي وهو متهم بالكذب ، لكن من درس أخلاق عبد الملك بن مروان لا يستبعد عليه النطق بهذه الخطبة اللهم الا الفقرة الأخيرة فربما كانت مدسوسة عليه ومن أجلها شكك السيوطي في صحة الخطبة والا فان قساوة الطبع التي عرف بها عبد الملك لا يحتاج اثباتها الى كثير ايمان فان تطبعه بالقساوة ا كسبه خلق الثبات والجلد حتى ما يبا بالمصائب اذا تواتت عليه

فهي رواية لابن عساكر عن ابراهيم بن عدي قال : رأيت عبد الملك بن مروان وقد أتمته امور اربعة في ليلة فما تنكر ولا تغير : قتل عبيد الله بن زياد ، وقتل حيش بن دجلة بالحجاز ، وانتقاض ما كان بينه وبين ملك الروم ، وخروج عمرو بن سعيد الى دمشق ، يعني مشاقا

ولكي ينهج ابنه الوليد في الشدة منهجه ولا تأخذه هودة في امر الملك او الخلافة اوصاه قبل وفاته بوصية قال فيها :

« يا وليد اتق الله فيمن أخلقك فيه - الى أن قال - وانظر الحجاج فاكرمه فانه هو الذي وطأ لكم المنابر وهو سيفك يا وليد ويدك على من ناوأك فلا تسمعن فيه قول احد وانت اليه احوج منه اليك ، وادع الناس اذا امت الى البيعة فمن قال برأسه هكذا قتل بسيفك هكذا : »

على أن الوليد مع استعماله متمى البقطة في ولايته لم يسلك في الشدة مسلك ابيه بل عدل عنها الى الفتح والاحسان الى الناس وشغل المسلمين بالفتوح والعمران فشيّد المصانع والمستشفيات والمساجد الكبيرة كمسجد دمشق والمسجد الاقصى وكتب الى البلاد باصلاح الطرق وجعل لكل اعمى قائدا ولكل زمن خادما وأقام الفنادق فيما بين البلدان تسهيلا على ابناء السبيل وامر بحفر الآبار في الحجاز الى غير ذلك من الاعمال النافعة

وبالجملة فقد كان عمرانيا محبا لرقى البلاد حتي كان الناس على عهده لا يشككون

(المناج ١٢ م ١٢) أسباب سقوط الدولة الاموية ٩٤١

بغير العمران ووجهه همه الى انتقاء العمال قولى خالد بن عبد الله القسري مكة وعمر بن عبد العزيز المدينة وموسى بن نصير بلاد المغرب ففتح الاندلس كما هو معروف وكثير السج في زمنه ففتح قتيبة بن مسلم ما وراء النهر الى بخارى وسمرقند أي التركستان ، وتجاوزها إلى بلاد التبت ففتح عاصمتها كاشغر ، واوغل مسلمة بن عبد الملك من جهة ارمينيا في جبال القفقاس

وهكذا انتهت مدة خلافة الوليد على احسن حال رآها الامويون اذ استفحل ملكهم وعلا شأنهم وشأن دولتهم واحبهم العرب حتى اذا ولي الخلافة سليمان بن عبد الملك اراد قتيبة بن مسلم ان يطلع طاعته لاسباب لا محل لذكرها فلم يوافقها على ذلك جند خراسان ووقع بينه وبينهم خصام افضى الى قتله فخرت الدولة فاتحاً من اكبر الفاتحين في الاسلام وسار سليمان في الناس سيرة حسنة أيضا لم يجعل للناقلين من دولته سيلا اليها وختم أعماله بأحسن عمل له وهو عهده بالخلافة الى عمر بن عبد العزيز وكلكم يعرف من هو عمر بن عبد العزيز

الا ان سليمان غرس بيده غرس الدولة العباسية وقد سبقني الاستاذ الحضري فذكر لكم في خطبته الماضية كيفية تسميم أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية الذي كان الشيعة يدعون اليه وعهده بالامر بعده إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فلا لزوم للاعادة هنا

كان الامويون شديدي الحذر من آل علي كما ذكرنا وكان هؤلاء بعد نكبتهم في خلافة يزيد قليلا الجراءة على الظهور لشدة المال عليهم ومراقبتهم لحركاتهم وسكناتهم ولان الخلفاء من بني امية كانوا مع شدة حذرهم منهم يراعون مكانتهم ويحسنون اليهم فلم ينزع أحد منهم الى الخروج عليهم لضعفهم الا زيد بن علي فقد خرج في خلافة هشام فقتل في الكوفة وقتل ابنه يحيى في خراسان أما تسميم أبي هاشم فقد كان بامر سليمان بن عبد الملك لانه خاف جانبه لما رأى فيه من النجاسة والذكاء وربما كان هناك سبب آخر لضعف آل علي من بني فاطمة وهو أن الذين بقوا منهم احياء بعد نكبتهم في كربلاء كانوا اطفالا لا يصلحون لقيادة الناس فاتفق الشيعة حول محمد بن علي المعروف بابن الحنفية من غير ولد فاطمة وهكذا ساقوا

٩٤٢ اسباب سقوط الدولة الاموية (المنار ج ١٢ م ١٢)

الامامة في بني من بعده كما ساقها غيرهم الى بني فاطمة ايضا وانتقلت من ثم الى أبي هاشم الى بني العباس

لاجرم أن سليمان بن عبد الملك جنى على دولته بقتل أبي هاشم لأن آل علي كانوا لشدة ما عانوا من المراقبة والاضطهاد شديدي الحذر بطيئ الخطى في الوثوب على الخلافة الاموية والظهور لمنازعة الامويين عليها فتلقى العهد بها آل العباس وهم بعيدون عن سوء الظن والمراقبة لم يمانوا مشاق الدعوة ولم يذوقوا طعم الاضطهاد فيخافوا الوقوع فيه . ولذا مالبت ان عهد الى محمد بن علي بالامر حتى نهضوا باعباء الدعوة بحجة عظيمة وكان لابراهيم بعد موت اخيه محمد ما كان مع أبي مسلم فتويعض امر الزعامة اليه وقيام هذا بيت الدعوة احسن قيام حتى استفحل امرها وفلجرت على خصومها

أحس الامويون بهذا انظر السريع فبادروا ابراهيم الامام بالقتل فنهض ابو العباس السفاح بعد قتل اخيه ابراهيم وعاجل الامويين بالوثوب عليهم قبل أن يدب الفشل في اهله وشيعته منهزا فرصة وقوع الشقاق بين الاخوة وابناء الاحام من آل مروان وتلطي المملكة الاموية بنار الفتن وظفر بها أراد وقضى على دولة الامويين في المشرق فذهبت كأن لم تكن بالامس

على ان فخر العباسيين على هذا الوجه وبهذه السرعة له بواحد واسباب اخرى كاختلال نظام الدولة وغيره أرى أن ألم به على قدر ما يمكن من الاختصار تعلمون أن الدولة تموت برجل وتحيا بآخر وان الرجال في الدول قليل والدولة الاموية لما فقدت رجالها فقدت جانبا عظيما من قوتها وأعني بأولئك الرجال الرجال الخالصين الذين يخدمون الدولة بمتى الصداقة بقطع النظر عما ينسب الى افراد منهم من القسوة فيهم ومنهم من اجل ذلك بالظلم اذ الرجال يصطبغون بصبغة الدولة ويتشككون بشكلكها والدولة الاموية لما كانت دولة مطلقة لزم أن يسير عاملها على سنتها

من رجال الدولة الاموية الخالصين : مومي بن نصير ، والحجاج بن يوسف و خالد بن عبدالله القسري ، ويزيد بن المهلب ، وقيس بن مسلم واضرابهم ، ومن

(النازع ١٢ م ١٢) اسباب سقوط الدولة الاموية ٩٤٣

خطأ الخلفاء الامويين انهم لم ينصفوا امثال هؤلاء الرجال فخرجوا من اخرجوه منهم حتى اخرجوه قتلوه كخالد بن عبدالله وقيية بن مسلم ويزيد بن المهلب الذين ذهبوا ضحايا سوء الظن او سوء التفاهم وموهي بن نصير الذي زوج به في السجن في نظير فتحه الاندلس ومات اقيح ميتة فقدت الدولة بقصد هؤلاء الرجال وامثالهم جانباً لا يقدر من قوتها واخذت تنحط من ثم هيبتها أما الحاج فوته في الحقيقة مبدأ افول نجم الدولة لانه كان يدها التي بها تضرب وعينها التي بها تبصر فانه بعد ان اخذ لم فتة ابن الزبير كان والياً على الكوفة واليه ولاية خراسان وكلا المكانين عش الفتنة ومنبع الدعوة الامامية ومع هذا فقد ضبطت البلاد وارهب يعلشه المنازعين للدولة والنازعين الى الشغب . وأحسن في انتقاء الهالك والقواد فامتد ملك الامويين على عهده الى كابل من بلاد الافغان شرقاً والتركستان الصينية شمالاً ولوجود بعد من يخلص من الولاة للدولة اخلاصه ويكون في مثل حزم ومهزومه لاطال همر الدولة الاموية بلا ريب

ولعل نوابغ الرجال يكترون في مبدأ نشوء الدولة وإن كانت هذه النظرية تحتاج الى تمحيص

وعما ساعد أيضاً على اختلال نظام الدولة الاموية تباعد أطراف المملكة بما صار اليهم من الفتح الى عهد هشام بن عبد الملك اذ اتسعت دائرة ملكهم الى ما لم قبله قبلهم غير دولة الرومان

فابين التهرين المعروف بالجزيرة ويران وقسم من الافغان والتركستان والتبت والقوقاس ولومينا وشبه جزيرة العرب وسورية ومصر والمغرب والاندلس كل هذه الممالك دخلت في حوزتهم وأصبحت خاضعة لسلطانهم . وضبط مثل هذا الملك المترامي الاطراف مع صعوبة المسالك والمواصلات لذلك العهد متعرجاً ولا سيما على أمة حديثة عهد في سياسة الام . ولذا فقد كانت تكون الفتنة في طرف من أطراف المملكة بين الجنود والامراء المتنازعين على الولاية وتنتهي بقتل والٍ وقيام غيره وربما انتهت بغلبة المشاعب أو النازع وضم البلاد الى حوزته واستقلاله

٩٤٤ أسباب سقوط الدولة الأموية (المارح ١٢ م ١٢)

بالولاية عليها دونه وفصلها عن جسم الدولة والخليفة لا يعلم ذلك أولا تصل قدرته الى اتحاد نوا القففة في تلك البلاد الناففة

مأله ماوقع في المغرب في خلافة الوليد بن يزيد سنة سبع وعشرين ومئة اذ تنازع عبد الرحمن بن حبيب من ولد عقبة بن نافع الفهري قائم إفريقيا مع حفظة بن صفوان والي إفريقيا فكانت الغلبة للاول واستأثر بالسلطة على البلاد وبعث إفريقيا مستقلة عن الخلافة الأموية حتى قيام الدولة العباسية

ومثل هذا وقع في الاندلس وفي بعض الاطراف السحيقة ولا يخفى ما في هذا من الوهن والخطر على المملكة

ثم ان من الامور الثابتة في الاجتماع ان الدول الحربية الفاتحة لاتزال في أفق مجدها مادامت على الخشونة وما دام الراعي والرعية مترفعين عن الانغماس في الترف والاستغراق في ملاذ الحضارة . قد عرفنا هذا في كثير من الدول البائدة كدولة اليونان وخلفاء دارا والا سكندر (أي البطالسة) والرومان حتى لقد قال مونتسكيو في تاريخه أسباب صعود الرومان وهبوطهم : ان دخول الرومان الى الشام كان مبدأ ضعفهم بسبب ما كان متسلطا على أهلها وملوكها من الرخاوة والترف ،

والدولة الأموية انما هلك في نفس تلك البيئة التي هلك بها الرومان من قبل ، وبعد أن حافظت على خشونتها الاولى الى خلافة هشام بدأت في خلافة الوليد بن يزيد المعروف بالتهتك تنحط عن خشونتها التي عرفت بها واخذ الخلفاء من ثم يميلون الى الترف والراحة والاستغراق في الملاذ تبعاً لآحوال البيئة التي نشأوا فيها وهذا بالضرورة كان من الاسباب التي عجلت على دولتهم يضاف اليه انقسام العرب في خراسان التي هي منبع الدعوة العلوية والعباسية الى مصرية ومانية وتنازع رؤسائهم على الولاية في ابان استفحال الدعوة

مأله ماوقع بين الحارث بن سريج والكرماني وبين هذا وقحطية وبينهما وبين نصر بن سيار حتى ملئت نفوس العرب هذه الحال وسئمت ممارسة الحرب ورأوا أنفسهم تباع ضحايا لهطمان وعدنان وتزهق في سبيل المتنازعين على الخلافة من قريش حتى قال قائلهم :

(المارچ ١٢م ١٢) اسباب سقوط دولة بني أمية ٩٤٥

تولت قريش لذة العيش واتقت بنا كل فج من خراسان أغبرا
فلت قريشا أصبحوا ذات ليلة يعمون في لج من البحر اخضرا
لاجرم أن الذي بث روح الشقاق بين العرب في خراسان انما هم أهل الدعوة
الهاشمية من علويين وعباسيين والذي أصبح قصد أبي مسلم في نشر الدعوة العباسية
وقلب الدعوة الاموية تواطؤ سكان البلاد الاصلين على قهر الامويين وقتل عصبيتهم
العربية وقد عرف ابراهيم الامام منازع الفرس وعلم ان دولته تقوم بغير العرب من
التأقين منهم وان العرب شديدو المعصية للامويين لاصطباغهم بالصبغة العربية الخالصة
فكتب فيما كتب الى أبي مسلم أن لا يبقى في خراسان ان استطاع فجل رجال الدعوة
يضر بون العرب بعضهم ببعض لان قسما كبيرا منهم ممن قم من الامويين كما قدم
في صدر الكلام قبل الدعوة وصار من الثأمين بها العاملين على تشييد دعائهم تبداً واعتقاداً
هكذا أثمر الفرس الديني الذي غرسه قبل ذلك بقرن ابن سبأ واضرابه من
الموالي التأقين من الدولة السائدة واستحال على العرب في المشرق استبقاء السلطة
خالصة لهم من دون الامم الاخرى المحكومة منهم وقد جرت سنة الوجود هذا المجري
في كثير من الامم من قبل
قال مونتسكيو: اقتضت الحكمة الالهية أن يكون للمالك حدود طبيعية تمسك
بأعنة الملوك عن تجاوز هذه الحدود وتعمدي بعضهم على بعض ولما تجاوز هذه الحدود
الرومانيون أهلهم البرث أي قدماء الفرس وبددوا شملهم ولما تجاوزها البرث
أنفسهم اضطروا لاول أمرهم للرجوع الى أراضيهم
وأقول إن العرب أصيبوا بما أصيب به الرومان والبرث وطبائع الاجتماع تغذر
أولئك الاقوام على ما فعلوه مع العرب وحسب العرب أن نشروا دينهم الاسلام
فلا مؤاخذه ولا ملام ولا سيما أن الاسلام يرمي بطبيعته الى محو الحدود والسياسة
الجنسية بين الشعوب كما ترمي الى مثل هذا مبادي جماعات السوسياست أو
الاشتراكيين أو الاجتماعيين لهذا العهد

ورب قائل يقول ان هذا الانقلاب أي انقلاب الدولة الاموية الى عباسية
(المارچ ١٢م) (١١٩) (المجلد الثاني عشر)

٩٤٦ اسباب سقوط دولة بني أمية (المار ج ١٢م ١٢)

لم تكن نتيجته كلها كما يريد أولئك الاقوام المغلوبون للعرب إذ دولة الأمويين عربية قرشية ودولة العباسيين كذلك

الجواب عن هذا يأتي من وجهين : الوجه الاول ان أم المشرق لذلك العهد قلما كانت تقدر قيمة الحرية الكاملة لفنائها في وجود زعماء الاجتماع الشرقي أو كما قال مونتسكيو «ان أم آسيا لم يكن ميلهم الى الحرية كبل أم أوروبا اليها اليوم - أي لعهدهم - ليحطهم على الخروج من الاسر والاستعباد وانما كان ميلهم الى تغيير الملك ولا جبر لهم على بقائه طويلا »

وسواء صحت هذه النظرية أو لم تصح فإنه يجوز لنا تطبيقها على الأم التي دخلت تحت حكم العرب لذلك العهد باعتبار ان الاسلام جمع بينهم جميعا فلا فرق عندنا الفرس وغيرهم أن يكون الخليفة أو الملك عربيا أو غير عربي مادام الملك آنلا الى غير الدولة التي قبوا منها وما دام مصير أكبر السلطة اليهم بعد قل حدا العصبية العربية التي كانت قائمة في دولة الأمويين متسلطة بقوتها على كل شيء

وقد كان ما أرادوه بقيام الدولة العباسية التي لم يكن لها من العربية إلا الاسم وهي مصطنعة بالصيغة الأعجمية مشبكة مع العناصر الأخرى بالنسب والصهر مشاركة لهم بمصالح الدولة كما نعلمون

هذا الوجه الاول ، أما الوجه الثاني فانتظار النتيجة الطبيعية لمثل هذا الانقلاب ولو في المستقبل البعيد وتلك النتيجة هي أن اصطبغ الدولة أو الأمة السائدة بصبغة أهل البلاد يحيلها مع الزمن الى عنصر هذه الصبغة والعكس بالعكس اذ من الشعوب من اصطبغوا بصبغة العرب بعد الفتح فاندمجوا فيهم ومن الشعوب من اصطبغ العرب بصبغتهم فاندمج هؤلاء فيهم وهذا ما وقع لسكان آسيا الوسطى بعد قيام الدولة العباسية ثم سقوطها وقيام غيرها من الحكومات الوطنية على اقاضها وهكذا رأينا دولة الفرس وغيرها من الدول الاسلامية دينا المختلفة جنسا قد عادت الى أصلها وهي قائمة الى الآن وستبقى قائمة عزيزة الجانب منيرة الجانب الى الابد ان شاء الله

وهكذا نرى الخلافة الاسلامية التي سالت من اجلها أو باسمها تلك الدماء الفزيرة صارت الى غير العرب اليوم وفي دولة هي اعز دول الاسلام مكانا و اجودها

(المار ج ١٢ م ١٢) اسباب سقوط دولة بني أمية ٩٤٧

يحفظ بيضة الخلافة ولم يمنع الدين أن تكون إليها الخلافة كما لم يمنع أن تكون فيمن
يقم عليه اختيار الأمة ورضاها في عهد الصحابة الكرام ولو من غير بني هاشم
والتاريخ يعيد نفسه

هذا ما أمكنني إirاده من اسباب انحطاط الدولة الأموية ثم اقراضها تلوته
عليكم ايها السادة بوجه الاختصار لان الاستقصاء والتتبع وبسط كل الاسباب
والنتائج لا تقوم به خطبة لانه تاريخ دولة باكلها

أما ما يقوله بعض المؤرخين من ظلم الدولة الأموية ويعزي إليه دمارها فبالغ
فيه وما كان منه صحيحا فهو في نظري ثانوي بالنسبة للأسباب التي ذكرتها وتكاد
تكون نتائجها طبيعية وليس من دولة في الأرض قائمة بالعدل المحض حتى الدول
المقيدة ناهيك بالمطلق

ومن قال إن دولة الأمويين كانت ظالمة وإن ظلمها هو الذي جر عليها الدمار
فجاهل بأحوال الاجتماع أو متعصب لدولة أخرى ولوطواب بالدليل على أن الدول
التي قامت دولة الأمويين على اقاضها كالفرس والروم والقوط وغيرهم كانت اعدل
منها لما استطاع اليه سبيلا

والحقيقة ان الخلفاء الأمويين كانوا اشداء على خصومهم دون سائر الناس
وكانوا في منزلة من العناية بالرعية والاهتمام بالعدل بين الناس فوق منزلة كثير من
الحكومات المطلقة وحسبك ان اشد هم قسوة وهو عبد الملك بن مروان استهل
وصيته لابنه الوليد حين الاحتضار بقوله : يا وليد اتق الله فيمن اخلفك فيهم !
والشواهد على مثل هذا كثيرة لا يسعها المقام وحسب تلك الدولة فضلا فتوحها
العظيمة التي سودت دين العرب ولسانهم على احسن اجزاء المعمور الى اليوم وتلك
الايام نداؤها بين الناس

وبعد فاني لست في مقام الجرح او التعديل وانما انا باحث في التاريخ اقول
ما تبادر الى فهمي وما بلغ اليه علمي من غير أن اقصد التحيز الى فئة دون أخرى او
شخص دون آخر وكل ما بسطته لديكم لم ارد به غير الوجهة التاريخية فارجوكم الصفح
عما اذا كان ذل لساني بخطأ سمعتموه اذ الانسان محل الخطأ والنسيان والسلام عليكم

المطبوعات الجديدة

كانت كثرة مواد أجزاء المنار في هذا العام تحول دون ذكر المطبوعات التي أهديت إليه ، وإن سنة المنار في هذا الشأن عسى لا تتفق مع سنة الصحف الأخرى فالمنار لا يبدي رأيه في المطبوعات إلا بعد تلاوتها وإذا لم يتسن له ذلك أشار إلى موضوعاتها بالجملة

ونحن اتباعاً لهذه السنة وجرباً على هذا السن ننذكر الكتب المهداة بالاختصار ، والرجاء أننا نوفق لقراءة ما يستحق العناية والاعتبار ، فنكتب عنه في العام القابل للمنار

الكتب

بلاغة العرب

يكاد يكون هذا الكتاب جديداً في موضوعه فلقد عمد محمد كامل أفندي حجاج من موظفي المحكمة المختلطة بمصر إلى اختيار قطع ونقرات من أحسن كلام مشهوري رجال القلم في فرنسا كـ (Hugo) ولامارتين (Lamartine) وراسين (Racine) وأضربهم وترجمها بالعربية ترجمة ممتازة بالأسلوب البليغ مع المحافظة على الأصل جهداً طاقه فجاء ذلك كتاباً شعرياً في مثني صفحة مطبوعاً طبعاً متقناً على ورق جيد وهو يطلب من مؤلفه ومن المكتبات المشهورة في مصر

تاريخ الفنون الجميلة عند قدماء المصريين

هذا الكتاب فريد في بابه ، فريد في طبعه والعناية به ، جميل بصوره ورسومه جمع فيه مؤلفه شكري أفندي صادق ناموس نادي الفنون الجميلة المصرية ما وعاء التاريخ لقدماء المصريين من العناية بالنقش والحفر والموسيقى وأثبت فيه رسوم كثير من الآثار التي لم تهو عوادي الأيام على محوها ، فجدير به شاق الفنون الجميلة اقتناء هذا الكتاب ، والتوفر على مطالعته . وهو يباع بمكتبة المعارف بالفعالة وعنه ١٥ قرشاً

(المارح ١٢ م ١٢) المطبوعات الجديدة . الكتب ٩٤٩

روح الاجتماع

مؤلفه الدكتور جوستاف لوبون من مشهورى علماء فرنسا ، وقد عني بترجمته بالحرية احمد فتحى باشا زغلول وكيل نظارة الحفانية المشهور بتأليفاته النافعة ، وحسن اختياره لترجمة الكتب المفيدة ، وهذا الكتاب يعد منها ، ومثل هذا الكتاب جدير بأن يفرد له فصل خاص وهذا ما ستقوم به في احد اجزاء السنة القابلة للمارح ومارأيت فيما رأيت من المطبوعات العربية كتابا اتقن منه طبعا أو أجود ورقا فكان بذلك طابعه خليل بك صادق صاحب مسامرات الشعب خليقا بالشكر والثناء . وياع بمكتبة الشعب وإدارة المارح وعنه عشرون قرشا واجرة البريد قرشان

فك التقليد

كتاب في علم الصرف يقع في نيف ومثي صفحة مطبوع طبعا نظيفا مضبوط كله بالشكل وهو تأليف صديقنا جبر أفندي ضومط وبولس أفندي الخولي من أساتذة كلية الامريكان في بيروت المشهورين بمخدمتهما للغة العربية والاول منهما معروف عند قراء المارح بما ذكر له فيه من التأليفات المفيدة وقد تصفحنا صفحات من هذا الكتاب فوجدناه من أحكم كتب هذا الفن وضما وأجمعها مادة وأسهلها أسلوبا ، ونتمنى أن يتاح لنا قراءته فنكتب فيه كلمة قد كنا نرغب اليها مؤلفاه الفاضلان

كتاب النوائد

هذا الكتاب « المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان » من تأليفات الامام ابن قيم الجوزية وكفى بذلك تعريفا بمكانة الكتاب ودلالة على نفعه وقد طبعه محمد أفندي الخانجي الكتبي وهو يطلب منه بشارع الخاويجي بمصر

الاسماقات الطبية

كتاب يقع في ٢٧٠ صفحة بالقطع الصغير ، يصف فيه مؤلفه الادوية اللازمة للادواء الطارئة بأسلوب سهل ، ورسوم كثيرة تعين على الفهم ، وقد استعمله بكلام في وظائف الاعضاء (physiologie) والتشريح وهو من خبرة الكتب في هذا

٩٥٠ الدواوين والقصص والرسائل (المارح ١٢ م ١٢)

الموضوع بل انه لا نظيره في بابہ ، وهذا النوع من الكتب من الضروريات لكل منزل فتنني على مؤلفه الدكتور محمد بك رشدي رئيس حكماء محافظة مصر أطيّب الثناء ، ونحث قراء النار على اقتنائه

زهرة الصبا

مجموع مقالات وقصائد لعبد العزيز افندي صبري من شبان مصر الاذ كياء اكثرها في الوصف و بيان بعض وظائف الاعضاء وما ينتابها من الاعراض ، والالام بذكر أسباب ذلك ، وصفحات الكتاب ٢٢١ بالقطع الصغير وهو يباع بخمسة قروش في سائر المكتبات

اثر حسن

هو مجموع تأيين ورتاء في الدكتور سليمان الخوري الحصى المتوفى من بضع سنين مع ترجمة حافلة له واثبات شهادات رجال الطب والحكومة بمحذقه ومكاته من الاطباء لجامعه رزق الله افندي نعمة الله عبود أحد اساتذة المدرسة الارثوذكسية بحمص وهذا العمل من أسطع دلائل البر وأحسن الوسائل لتخليد الذكر

* * *

﴿ الدواوين الشعرية والقصص والرسائل ﴾

خمسة دواوين العرب

غنيت المكتبة الاهلية في بيروت بطبع المأثور من شعر النابغة الذبياني وعروة ابن الورد والفرزدق وحاتم الطائي وعلمة الفحل وجمعت شعرهم في كتاب واحد سمته خمسة دواوين العرب

وكل واحد من هؤلاء غني بشهرته عن التقريظ ، ولا سيما بعد أن طفحت كتب الادب - منذ اشتغل مؤلفو العرب بوضعها - بذكرهم ، وتخليد مقدراتهم في شعرهم ، ومنهم مثل النابغة الذي فضل شعره كثير من أئمة الادب على كل شعر قيل ، في كل زمن وجيل ، وهو زعيم سوق عكاظ الذي كان يجلس فيه من الشعراء مجلس الرئيس المقدم والعلیم المحكم ، ومنهم مثل الفرزدق وهو من فحول الشعراء الاسلاميين الذي قيل فيه « لولا شعره لذهب ثلث لغة العرب »

وديوان النابغة أثبت في طبعه شرح البطليوسي المشهور فزاد ذلك في حسنه وكذلك ديوان عروة قد طبع بشرح ابن السكيت وكلا الشارحين من أئمة الادب ويبيع الكتاب بثمانية قروش صحيحة بإدارة المنار وبالمكتبة الاهلية في بيروت وأجرة البريد قرش ونصف وثمن كل ديوان على حدة قرشان الا ديوان الفرزدق والنابغة فثمن كل واحد منهما ثلاثة

بدايم الشعر في الحاسة والنخر

كتاب يقع في ٢٥٤ صفحة بالقطع الصغير لجامعة بشير افندي رمضان من مشهوري أدباء بيروت وهو مجموع القصائد التي وقع عليها اختياره مما قبل في الحاسة والنخر من الشراء الجاهليين والاسلاميين والمحدثين وقد علق عليه الشيخ عبد الرحمن سلام حواشي حل بها غريبه وأوضح مبهمه فجاء كتابا جديرا بالاقبال عليه من الادباء دالا على ذوق جامعه في الشعر وحسن اختياره للحاسة والنخر والمريد يعرف باختياره كما يعرف بنظيره وتارة كما قال الشاعر

قد عرفناك باختيارك اذ كان دليلا على اليب اختياره

وثمنه ثمانية قروش صحيحة ويطلب من جميع المكتبات المشهورة

مناجاة الحبيب في الغزل والتسبيح

هذا الكتاب هو صندوق بدائع الشعر في حجمه وعدد صفحاته وكون جامع فاك هو جامع هذا الا ان هذا خاص بالتسبيح والغزل واذا كان ذاك ممتازا بالبلاغة والجزالة فان هذا ممتاز بالركة والسلاسة ومن دلائل الاقبال عليه انه صار مطبوعا خمس مرات وهو يباع بخمسة قروش بساتر المكتبات

ديوان عبد الرحمن شكري

طبع عبد الرحمن افندي شكري شعره في كتيب بلغت صفحاته الثمانين بالقطع الصغير وهو في اغراض مختلفة اكثرها في الغزل والوصف وقد قال فيه حافظ افندي ابراهيم مفرقا :

صهبت بأن شعرك لا يملأى هذكت الشهادة باعتزازي

كشف الغمة في مدح خير الأمة

كان المرحوم محمود سامي باشا البارودي أمير الشعراء في هذا العصر غير منازع، وأقدمهم على الثفن في مناجي الشعر غير مدافع، وقد كان الأدباء وما زالوا أسفين لجرائمهم من مآثر منظومه وبدائع آياته، متمنين أن يمثل ديوانه للطبع نعم به الفائدة والنعم، وقد طبع له في هذا العام قصيدته الميمية المشهورة « راجع » (ص ٧٢٨٩م) من المئذون، وهي تتضمن سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذاً عن سيرة ابن هشام، وأنها لمن الشعر الذي لا يطاول بلاغة وجزالة، ولا يتحدى أسلوباً ومنهجاً، وقد غني بتصحيحها وحل غريبها الشيخ ياقوت المروسي « كاتب يد الناظم في سنيه الأخيرة » والقصيدة تطلب من إدارة الجريدة بمصر وصفحاتها ٤٨

مقالات النديم

انتخب « ابن متصرف » بضع مقالات من مجلة « الأستاذ » التي كان يكتبها فقيد الصحافة المرحوم عبد الله النديم وطبعها في كتيب صغير والمقالات في أغراض شتى سياسية واجتماعية ولا بد أن يقبل على هذه المقالات عشاق أدب النديم

كلمة حول النورى

رسالة ضمت بضع مقالات وقصيدتين للدكتور أيوب ثابت كان نشرها في جريدتي « الوطن » و « الثبات » البيروتيتين وقد جمعها منها صديقه نجيب افندي شوشاني والدكتور صاحب هذه المقالات معروف بتحري النفع والافاضة فيما يكتب

برنامج جمعية الاعمال الخيرية الاسلامية في بيروت

أصدرت هذه الجمعية النافعة برنامجاً أودعته مقاصدها ونظامها وأعمالها وذكر رئيسها وأعضائها والمتبرعين لها، وقد بلغ مجموع نفقات ما قامت به من الاعمال الخيرية ١٢٥٤٥ قرشاً و٣٥ بارة في تسعة أشهر، وهذا المبلغ اتفق على تطييب المرضى ودفن الموتى وإطعام المعدمين وتسفير المتقطعين وغير ذلك من صنائع البر والخير فنشكر لرئيسها صديقنا الشيخ محي الدين الخياط ولاعضائها الكرام تمحضهم لهذه الخدمة العظيمة جزاهم الله افضل ما يجازي به المحسنين

(المنار ج ١٢ م ١٢) الجرائد . التفرق والخلاف بين المسلمين في سنغافورة ٩٥٣

﴿ الجرائد ﴾

(لسان الشرق) — جريدة يومية أصدرها في مدينة حماء الشيخ احمد افندي الصابوني وهي من الجرائد المثلثات في سورية ، ولها عناية خاصة بالانتماء الى تاريخ الشرق المجيد والحث على التربية والتعليم ، وقيمة اشتراكها أربعة ريالات في حماء وليرة عثمانية في الخارج فتتمنى لها النجاح والفلاح (الاصلاح) — جريدة اسبوعية لمنشئها الشيخ كرامة يلدرم في سنغافورة ولم تصدر قبلها جريدة عربية هنالك فيما نعلم ولذلك جعلها الادباء ميداناً تتسابق فيه قرائهم ولقد سررنا سروراً عظيماً بصدر هذه الجريدة العربية في تلك الاصقاع فسي أن يكسر مشركوها وينمي قارئوها (الحرية) — جريدة اسبوعية أنشأها في بيروت صديقنا داود افندي جماعص ، وقد دلت أعدادها التي صدرت منها على انها حرية باسمها وما أقل الحريات بين الرصيفات ! ونحن نقول اننا عرفنا داود افندي حراً من صميم الاحرار في الزمن الذي كان كثير من احرار اليوم يتجسسون علينا أو يفرون منا ! فلا غرو اذاً قبل على الكتابة فيها الادباء وتهافت على طلابها القراء وقيمة اشتراكها ثمانية فرنكات في الخارج

حسين وصفي رضا

(جم الثنائس) — لم يتسم هذا الجزء لبدء رأينا في هذه الرسالة وموعداً « ج ١ م ١٢ »

تصحيح — في (س ٢٣ ص ٧٤٠) كلمة « بالدخول فيهن » وهي زائدة يجب ترميمها

﴿ التفرق والخلاف بين المسلمين في سنغافورة ﴾

الحمد لله ، الى حضرة أخي العلامة السيد محمد رشيد رضا المحترم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، قد قرأت بمنازكم الاغر في العدد الاخير المحرر آخر شعبان رسالة مصطنعة من بتاوى يقول كاتبها في اثنا عشر كتاباً انها نبئت في هذه السنين رجال يدعون الى الكتاب الى أن قال وقد غاظ أمرهم هذا أناساً عاشوا بترويج الرابطة والتوجه وآخريين جهدوا على ما قاله بعض مصني المتأخرين كابن حجر المكي فتخذوهم أرباباً من دون الله الى آخره . فيا أيها السيد رشيد اني سأخبرك بالحق والواقع ان ذلك الكلام لا وجود له مطلقاً بهذه الديار والناس في جهل لا يعرفون معنى التقليد ولا الاجتهاد وانما ظهر واحد جاهل مبتدع فجعل يتذرع بذكر الكتاب والسنة كذبا وما ذلك الا ليظن على المصلحين . اني لأعرف أحداً بهذه الديار يعرف الشيخ ابن تيمية وأولئك الذين يدعون بفضل ابن تيمية هم اول من يرمون بقوله عرض الحائط فيما اذا لم يوافق هواهم وانني شارح في جمع رسالة اعتمدت فيها على ما يقوله ابن تيمية مما هم مجاهرون باقوال لا يرضى ابن تيمية بها وهامنا المحك فان أذعنوا واعترفوا وسلموا لا قوال ابن تيمية وحفظه ونقله عرفنا ان ضالهم المشودة الحق والافليك ما يقولونه واستمع به . تأمل أيها الاخ أولئك الذين يدعون انهم يذبون عن ابن تيمية ونحن نعرف بجلالة ابن تيمية والذي أعتقده انهم جعلوا ذنبهم عن ابن تيمية ذريعة للظن على من يذب عن معاوية وكل منهما جدير بأن يذب عنه ومعاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه أولى بالذب ان كانوا عبيداً للحق ونحن لا نرضى لهم أن يلبسوا على صاحب المنار فان السائل

(المجلد الثاني عشر)

(١٢٠)

(المنار ج ١٢)

٩٥٤ التفرق والخلاف بين المسلمين في ستغافورة (المنار ج ١٢ م ١٢)

أسير المسؤل « ؟ » ليس هنا شيء مما يزعمونه الا الطعن على معاوية وجواز لعنه وسبه بل كفره ولم يعرضوا بالشيخ ابن حجر الا لاجل كتابيه تطهير الجنان والصواعق المحرقة. هذا هو الحق الذي ندين الله به ونرفعه الى صاحب المنار لينشره على صفحات المنار اعلاء للحق وان لم يكن ما أقوله فليفضلوا وليبينوا ماهي المسائل التي اتخذنا فيها ابن حجر رباً سبحانه هذا بهتان عظيم وانه لا يجوز التلاعب بالدين والتغريب بالمسلمين ليطعنوا على ابن حجر ولا ابن تيمية ولا غيرهم والكل ليسوا بمحسومين من الخطأ ولو عرف حقيقة منزى ذلك الكاتب أخونا السيد محمد رشيد لما أجابه مطلقاً وأقن له ان يعرف ذلك وها أنا أشرح باسمي أسفل ما أكتبه لمعرفتي بضعافتي . حسن بن علوي بن شهاب

(المنار) جاءنا من هذا الكاتب رسالة أخرى في هذا الموضوع أيضاً أسهب فيها بما لا يخرج عن معنى رسالته هذه فاختارنا المختصرة . ومما صرح به في الاخرى انه لا غرض لمن كتبوا الينا ما كتبوا الا الاحتجاج بقول المنار على عدم الاعتماد على كلام ابن حجر لاجل كتابيه اللذين ذكرهما لا لاجل الاتصاف للكاتب والسنة قال « وقد أطل صاحب المنار في الرد ظناً بأن الحرب قائمة على قدم وساق في المباحث العلمية العملية النافعة المفيدة وأضاعوا عليه وقته وان كان كلامه لا يخلو من فائدة » ثم قال « ان تطويله وتعريفه في محله ولكن أولئك يتخذونه حجة على لعن معاوية وسبه فقط فلا علم ولا بحث ولا خالد ولا بكر الا معاوية فقط » وطلب ان يبينوا مسألة غلط فيها ابن حجر فخالف الكتاب أو السنة وقلدوه فيها . فظهر انه من الذين يعرضون فيهم وطلب منا فصل النزاع في ذلك . وذكر ان الذي قوى الخوض في هذه المسألة كتاب النصائح الكافية لمن يقول معاوية الذي أنه ونشره صديقه وصديقنا السيد محمد بن عقيل

أما ما كتبناه في منار شعبان فلا وجه فيه للاحتجاج على لعن معاوية فهو يعلم انهم كانوا استفتونا في لعن معاوية فلم نفت بالجواز ولم نرض تلك الفتوى السيد محمد بن عقيل وربما كانت من أسباب تأليفه لتلك الكتاب الذي لم نفرغ قراءته لكثرة الاعمال والاسفار ونحن من أولياء علي عليه السلام والرضوان، لا من أولياء معاوية وفتنه الباغية عليهم من الله ما يستحقون، ولكننا لسنا بسبابين ولا لعانين كما ورد في وصف المؤمنين وقد ذكرت في ترجمة الوالد رحمه الله تعالى من المجلد الثامن انه كان يقول « لأحب معاوية ولا نسيه » وكيف نحب من بنى على جدنا وخرج عليه وكان سبياً في تلك الفتن التي كانت نكته سوداء في تاريخ عصر النور وهو القرن الاول لنور الاسلام،

(المارج ١٢م ١٢) التفرق والخلاف بين المسلمين في سنغافورة ٩٥٥

وبه تحول شكل الحكومة الإسلامية عن القاعدة التي وضعها لها الله تعالى في كتابه بقوله في المؤمنين (٤٢: ٣٧) وأمرهم شورى بينهم) الى حكومة شخصية استبدادية جمعت مصالح الامة كالمال يرثه الاقرب فالاقرب الى المالك وان كرهت الامة كلها. فكان هذا أصل جميع مصائب الامة الإسلامية في دينها ودنياها

وأما الذي انصح به الآن لآخواني المسلمين في سنغافورة وجاوة وحضر موت كما انصح به لسائر الناس: فهو ان لا يفرقوا ولا يتعادوا لاجل الاختلاف في هذه المسألة ولا في غيرها، وان يتأدب بعضهم مع بعض في الخطاب والكتاب، وان يطمحوا ان التفرق والتعادي أشد ضررا في الدين والدنيا من الخطأ الذي يفرقون ويتعادون لاجله، وان المخلص في بحثه عن الحق وبيانه له لا يعادي اخوانه الذين لم يظهر لهم مآذير له بل بعذرهم ويرفق بهم وإنما يؤذي ويعادي صاحب الهوى، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكره التفرق والخلاف أشد من كراهته لسائر المعاصي حتى انه كان يريد ان يرشد أصحابه الى شيء فيتركه اذا رآهم تماروا واختلفوا كما فعل يوم خرج ليعين لهم ليلة القدر، ويوم أراد أن يكتب لهم كتابا لا يضلون بعده، والحديثان في صحيح البخاري. واني لا خشى أن تزيد الرسالة التي يؤلفها أخونا السيد حسن بن شهاب هذا الخلاف والشقاق لان الغرض منها هو الاخام والالزام وقد ذكر السيد حسن في هامش رسالته السيد عثمان بن عقيل واثى عليه بالدين والتقوى وحسن النية على كونه من المقلدين. وهذا ما أشرنا اليه في جزء شعبان فانتا شمنارائحة الاخلاص مما رأينا من رسائله فرجنا حسن الظن فيه على ما كتب اليه من ارا منذ سنين من الطعن فيه بكونه آله في يد الحكومة أو حسامات قابل به المسلمين من طريق الاسلام نفسه ولذلك لم ننشر شيئا من تلك المطاعن الكثيرة، ولكن لا يجوز لنا السكوت عنه اذا هو قوم دعوة الاصلاح وفكر المسلمين من النار ومن كتب ابن تيمية على الإطلاق ولو كان يخطئنا أو يخطئ ابن تيمية في مسألة أو مسائل معينة بأن يطالع على المسألة في كلامنا أو كلامه وعلى دليلها ثم يقرع الدليل بالدليل لاحترمنا قوله مطلقا فان رأينا صوابا ادعنا له وان رأينا خطأ بيننا ذلك بالدليل مع الادب والثناء

رحلت هذا العام الى القسطنطينية

(١)

رحلت في العام الماضي — وهو العام الاول للدستور — الى الديار السورية لصلة الرحم التي قطعها الاستبداد عليّ احدى عشرة سنة، ولاختبار حال البلاد، بعدما عانت به فيها حكومة الاستبداد، والوعظ والارشاد، والحث على الاتفاق والائحاد، وبيان مزايا الدستور وفوائده، وما يجب على الامة من العمل للتقدم في عهده، وقد نشرت في المنار ملخص تلك الخطب والدروس فقرأها قراؤه

ورحلت في هذا العام — وهو العام الثاني للدستور — الى القسطنطينية عاصمة الدولة لاسعى في أمرين عظيمين أحدهما وهو أجلبها خدمة للدين الاسلامي ولجميع المسلمين وثانيهما خدمة للدولة العلية من حيث هي حكومة الدستور القائم على أساس العدل والمساواة ولنضري الامة العثمانية الكيرين

اما الاول فهو انشاء معهد ديني علمي في العاصمة للتربية الاسلامية الصحيحة الكاملة بالتزام آداب الاسلام العالية واخلاقه الفاضلة وعبادته المطهرة للارواح من الفرائض والنوافل كالقيام والصيام وكثرة ذكر الله عز وجل — والجمع بين هذه التربية والتعليم الاسلامي الذي يكون وسيلة لسعادة الدنيا والآخرة كالتفسير والحديث والتوحيد وحكمة التشريع والاخلاق والسيرة النبوية الشريفة وتاريخ الاسلام وأصول الفقه وفروعه ووسائل ذلك من اللغة وفنونها وكالفنون الرياضية والطبيعية والصحية والاقتصادية التي هي وسائل عمران الدنيا وتقوية الملة والدولة

من منافع المهدد الاسلامي تعزيز دولة الخلافة وتأييدها بجعل عاصمتها ينبوعا للاسلام وكعبة معنوية لطلاب علومه وآدابه . ومنها تخريج العلماء الذين يقدرون على الدفاع عن الدين على النحو الذي كان يدافع به الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده رحمه الله) مثل (رنان) و(هانوتو) وما أشد الحاجة الى مثل هذا الدفاع في عهد الحرية

(المارج ١٢م ١٢) رحلة صاحب المنار إلى القسطنطينية ٩٥٧

والدستور - ومنها تخرج الدعاة إلى الخير والمرشدين للامة الذين يقومون بما فرضه الله تعالى على المسلمين من الدعوة والارشاد وحرمة عليهم من التفرق في مثل قوله عز وجل (٣: ١٠٤) ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ١٠٥ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليينات وأولئك لهم عذاب عظيم) وأقرب فوائد المرشدين ارسلهم إلى البلاد التي فشا فيها الجهل وكثرت المشاغب (كالبن والعراق والافاضول) للوعظ والارشاد الذي ينفر عن الشرور والفتن ، والفواحش مظهر منها وما بطن ، ويرغب في البر والتعاون بين جميع أهل الوطن ، والاخلاص للدولة العلية في السر والعلن ، وتعليم أحكام الدين بأسلوب يكون في منتهى السهولة ، مع مبادئ حفظ الصحة والثروة ، فهو لاء الوعاظ الذين يمكن تخرج طائفة منهم في مدة أربع سنين أو خمس سنين هم الذين يطهرون البلاد بتأثير الدين من اثورات والتقليل ، ويؤثفون بين جميع الطوائف والعناصر ، ويفعلون بالتصرف في القلوب والسمائر ، ما يعجز عن بعضه من لا تأثير لهم الا في الظواهر ، كأصحاب الجرائد والحكام والعساكر ،

ليس الغرض الذي أسعى إليه أن تكون الحكومة العثمانية هي التي تنشيء هذا المعهد الاسلامي فإن الحكومات تعجز عن مثل هذه الاعمال ، وان كانت قادرة على بذل المال واستخدام الرجال ، لان الحكام رسميون فأعمالهم كلها رسوم لا يمس شي منها سواد القلوب ، ولأن ما تقوم به الحكومة تدخل فيه السياسة والسياسة ما دخلت في شيء الا افسدته كما قل الاستاذ الامام وانما الغرض ان تقوم بهذا العمل جمعية من محبي الإصلاح والعلماء الصالحين وان تساعد الحكومة بما يمكن من الاوقاف الخيرية وبغير ذلك كاستئثار طلاب العلم من الخدمة العسكرية واتخاذ الوعاظ منهم بالمرتبات الشهرية عرضت هذا المشروع على رئيس حكومتنا الصدر الأعظم حسين حلمي باشا وعلى بعض أعضاء وزارته وعلى بعض الكبراء والعلماء هناك منهم محمود شوكت باشا وعلى بعض أعضاء مجلس الامة العمومي من الأعيان والبعوثين وعلى أشهر رجال جمعية الاتحاد والترقي فكتبهم أظهم والاسباب بهو الاعتراف بفوائدهم منافع وشدة الحاجة اليه وقال بعضهم إنه فكر في مثله من قبل وكذلك قال من ذكرتهم فيه بمصر

٩٥٨ رحلة صاحب المنار إلى القسطنطينية (المئذون ١٢ م ١٢)

وسورية وقد وعدت بالمساعدة الممكنة من كثيرين وسأين ذلك في وقته ان شاء الله تعالى وأما الامر الثاني الذي سببت اليه فهو ازالة ما وقع أخيرا من سوء التفاهم بين عنصرى الدولة الاكبرين - العرب والترك - وقد شرحت هذا في مقال مطول مؤلف من ست نبد أو فصول نشرت في جر يدة (إقدام) مترجمة بالتركية فصادفت استحسانا عند فضلاء الترك. وسيراه قراء المنار مجموعا في الجزئين الأخيرين - ١١ و ١٢ المشهور عندنا عن سياسة الترك انهم يخافون ويحذرون من قيام العرب بتكوين دولة عربية أو خلافة عربية في جزيرتهم وان هذا الخوف قديم فيهم ولكن أليس قد مرت القرون ولم تظهر من زعمائهم الدعوة الى ذلك حتى في الأزمنة الأخيرة التي كاد الياأس من الدولة يستولى فيها عليهم؟ بلى! فأني حجة لهم على استمرار هذا الخوف والحذر وبنه الاعمال عليه وكثرة الكلام فيه؟

يقول بعضهم ان هذا غير ممكن ولذلك لم يتشبهوا به ولم يحاولوا تنفيذه ونرد عليهم بأن العرب اذا كانوا يعلمون ان هذا غير ممكن فكيف يريدونه والارادة لا تتعلق بالمحال كما هو معلوم واذا كانوا لا يعلمونه فلماذا لم يسعوا اليه سعيه؟ هذه وساوس وأوهام يجب أن لا تذكر ولا يبنى عليها قول ولا عمل في هذا العصر لئلا يصير الوهم حقيقة! وان جميع من أعرف من عقلاء العرب متفقون معي على وجوب تدارك ما قوي الآن من سوء التفاهم ولما جئت الاستانة رأيت كثيرا من عقلاء الترك يميلون الى هذا ولكن العقلاء من الفريقين يرتابون في سياسة بعض الزعماء في العاصمة!

بلغ من سوء ظن بعض سياسة الترك بالعرب ما أشرنا الى بعضه في المقالات التي نشرناها هنا مترجمة بالتركية ولا سيما مسألة الشام. وهناك أمور كثيرة لم نكتب فيها شيئا كاهتمام الكثيرين بحجج الخديو، وبما تعجب المصريون من ادخاله في باب السياسة كحضور عزت العابد دعوة الشيخ علي يوسف اليوم الاربعين لابتغى الجديدة. وبلغ من سوء ظن العرب بالترك أن قال لي اكثر من واحد من أذكائهم وأهل الرأي فيهم بمصر والاستانة ان وزراء الدولة ورجال جمعية الاتحاد والترقي لا يقدرون من منة عليك الاصلاحين حتى قدرواها. لا يعرفون ان قيمة الخلافة انما تكمن في

(الناوچ ١٢م ١٢) رحلة صاحب المنار الى القسطنطينية ٩٥٩

فيها لانك عربي . . . فلما رأيت من عناية بعض الوزراء ولا سيما رئيسهم الصدر الأعظم وعناية كبار رجال الجمعية ما رأيت وسمعت من الوعود المؤكدة منهم ما سمعت ذكرت ذلك لبعض الظانين ظن سوء فقالوا ان الاعمال بالخواص وسبى هل أنت الخطي أم نحن المصيبون ، وإني لأرجو أن نطيش هذه الأوهام بما أنتظر من محاسن الاعمال ، وعلى الله الاتكال في تصديق الآمال

صاحب جريدة وطن الهندية وتفسير القرآن

جري ذكر صاحبنا (مولوي محمد إنشاء الله) صاحب جريدة (وطن) الهندية في بعض المجالس فرأيت القوم يسمون به الظن فذكرت لهم ما أعرف من فضله وغيرته على الاسلام ودولته وأهله ، حتى اني ذكرت للصدر الأعظم وبعض الكبراء وأصحاب الجرائد انه لم يدفعه الى جمع تلك الاموال الكثيرة للسكة الحجازية إلا غيرته وان من دلائل غيرته الدينية انه كتب اليّ قبل الدستور كتابا قال فيه ان هذا التفسير الذي تنشرونه في المنار هو أنفع ما كتب للمسلمين وانه لا شيء يرشدكم الي ما يحيطهم مثله فأقترح عليكم أن تتركوا كل عمل وتصفوا همتكم الى بناءه وأنا أرتب على نفسي مساعدة مالية أقدمها نكم في كل شهر إلي أن يتم التفسير . هذا معنى ما كتبه فأجبت بآتي لأقبل على خدمة الدين مالا من أحد وإني أجتهد في إتمام التفسير ما استطعت . فكتب إليّ ثانيا يشكر لي ذلك ويطلب الاشتراك بمئة نسخة من كل جزء يصدر من التفسير يجلد ويوزع على المساجد في البلاد العربية لأجل أن يرشد الخطباء والمدرسون الأمة به ، ويطلب أيضا أن يرسل اليه عدة نسخ من كل جزء لأجل أن ينشرها في الهند ويبيعها لنا . وقد أرسل عدة حوالاات مالية من ثمن التفسير التي اشترك فيها

ذكرت هذا للصدر الأعظم وغيره فأعجبوا بفضل الرجل وشيخته وقومجيج صدره سدي فولي في الاخلاص في . . . شأن الانقلاب العثماني وسببهم الايام أكثر من ذلك بل ظهر للناس كلهم اصل الامر بحكومة الدستورية له دولة الهلية مع مخالفتها على الدين الذي يأنه مقام اخلافة الاسلامية على ماقرره القانون الاساسي

باب السنة الثانية عشر

قد تمت السنة الثانية عشرة لئمان بتوفيق الله تعالى وعنايته فله الحمد والشكر والثناء الحسن أولاً
وآخرأ وظاهراً وباطناً ونسأله تعالى أن يوفقنا دائماً لأعمالنا الحسنة ويبلغنا الحكمة والهداية
كان من قضاء الله وقدره أن كتبت الاجزاء الاوائل والاواخر من منار هذا العام في السفر
فني أوله كنا في سورية ويرى القارىء في جزئي الحزم وصغر شيئاً يتعلق بأهاليها وحكمومتها وفي آخره
صرنا الى القسطنطينية ويرى القارىء في جزئي ذي القعدة وذو الحجة كلاماً في سياستها وحكمومتها
والسلامة في سياسة الدولة وشؤون كثير في منار الاجزاء ، فانتفضيه من النصيحة طيبة الانقلاب ،
(المشترك) لا يزال النشون من المشتركين يملون ويمطون كما سودوا وقد بينادرجتهم في المطر
والوفاء من قبل ، فلا يزال جمهور أهل القطر التونسي أشد مطلاً من غيرهم بل زادهم نادياً فيه عدم وجود
وكيل يتقاضاهم على انماؤا وكانوا كلاً منهم ووفاء الحساب ، حتى الوكيل الاخير على مكانته في الآداب ومنهم
أفرادهم خير الناس وفاء وأحسنهم أداء « كلاً فاضل عبد الجليل الزاوش ويحمد بن الخوجة في الحاضرة ومحمد
الزيوفي سناقس ومحمد بوتي في قسنطينة » — ولا يزال الربيعي جزيرتهم وفي جاوة وسنغافورة والجنرال
بنغمر في الاقصى في الذروة العليا من الوفاء فلما حل منهم قليل ولكن مسلمي روسيا قد نزّلوا الى الدرجة
التي يستحقون فيها الماطون ، وأهل البلاد السورية فكان أحسنهم وفاء في هاتين السنتين أهل حمص فحل
بعضهم وله كلام الكملة النص الاول في ذلك وسنتين درجت سائر البلاد في ذلك بعد

(الانتقاد على المنابر) نشرنا ما تقدمه بعض القراء على المنابر ومنه ما كان الانتقاد موجهاً إلينا كانتقاد أحمد بدوي أفندي يومه ما كان موجهاً إلى كلامه نشرناه لغيرنا كانتقاد الأستاذ اليافعي على الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي . وبقي منه شيء لم نشره فقد بعث إلينا إدارة المجلة بانتقاد لبعض أصدقنا من علماء تونس عنى ما كتبه في تفسير الآية الأولى من سورة النساء في أبوة آدم عليه السلام . وبانتقاد لبعض أصدقنا في مكة أسكره على ما كتبه منذ بضع سنين في مسألة الماشقة فها هم الانتقاد فها ودع في رسالة طويلة جداً والمسألة لا تحتل ذلك كله فجزءه بالكتاب ثم بحقوقاً ثم راعى أسكره بعلينا في الاستدعاء ونحن قد أشرنا إلى ما ينبغي على هذه المسألة في هامش الصفحة ١٠٨ من الكتاب الذي أجهنا في تلك المحاورات وسأزيد ذلك بإلينا في تفسير « ما استعظم به منقذ » الآية وقد ترجمنا في التفسير فكل ما كشف المتعبد بك فليختصر رسالته وإجلالاً صفحة واحداً من كتابي إلا فصحف من صحف المنابر بأن لا يزيد على اثنين تحريمه أيضاً شيئاً ولا سيما إذا كانت بين الرعدة في بعض بلاد القلل مثلثة أو كذا . فليصنع في موضع آخر

[illegible]